

ذكريات  
سعيد . عبد العزيز  
ماهر ورفاقه في ثورة ١٩١٩  
تصرفات حكومية

بقتلم  
الدكتور يوسف نجاس

اهداءات ١٩٩٩

مكتبة

د. محمد الحميد بدوي

القاهرة بحكمته العدل الدولي

ذكريات  
سعيد . عبد العزيز  
ماهروز فاقه في ثورة ١٩١٩  
تصرفات حكومية

---

بقتله  
الدكتور يوسف نجاس



إلى الذين يروضون أنفسهم على الحقائق  
وإن آلمتهم صدمتها .  
أقدم هذه الذكريات

يوسف نحاس

القاهرة في أغسطس

سنة ١٩٥٢



البَابُ الْأَوَّلُ  
سَجْدٌ وَالْوَقْدُ الْمِصْرِيُّ





## ١ - كيف عرفت سعداً

عرفت الزعيم الخالد سعد زغلول عام ١٨٩٦ لما كنت طالباً بمدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة وكان المغفور له والدى فتح الله نحاس بك يتحدثني عن متانة أخلاق الرجل وعن فرط ذكائه حديثاً جعلني مشوقاً للقاءه .

عرف والدى سعداً في ظرف غريب . كان لوالدى شريك من أعيان الريف في أطيان رفعت بشأنها قضية عليهما فتولى الدفاع فيها عن خصمهما المحامي ( سعد زغلول ) . خطر لشريك والدى أن يقدم لسعد مبلغاً من المال حتى يتساهل في المرافعة . فلما فآخ والدى في ذلك نهزه وقال له : هذا عمل يخالف للزمة لا يرضيه . إلا أنه أصر وذهب إلى سعد يعرض عليه المبلغ فلقى منه ما يستحقه من الزجر والتعنيف . فندم على فعلته وقال : ليتني سمعت نصيحة شريكي فتح الله نحاس بك الذى أراد منى فلم أمتنع وجئتك على غير علم منه .

ولما ذهب والدى إلى سعد معترراً عن تصرف شريكه ، تأثر سعد وجمع الخصوم وأزال ما بينهم بالصلح وردد لموكله ما كان قد دفعه له من أتعاب مقدمة .

## ٢ - سعد يؤدى امتحان الليسانس في باريس

في صيف عام ١٨٩٧ قابلت سعداً في باريس وكنت أتاها لتأدية أول امتحان في دكتوراه العلوم الاقتصادية والمالية . فسألني عن موعد امتحاني ليكون حاضراً معي . فلما اجتزته بتفوق هنأني عليه המתحنون وقف سعد وقبلني أمامهم فرحاً لما ناله شاب مصرى كان والده من أصدقائه . وكان سعد قد حضر إلى باريس ليؤدى امتحان الليسانس في الحقوق ، فذهبت معه لأشهد امتحانه وكان ممتحنه في القانون الجنائي من فطاحل أساتذة فرنسا له مؤلفات مشهورة في هذه الادة ، وكان

سعد قد طالعها فوجد فيها للأستاذ رأياً في مسألة خلافية لم يتفق ورأيه هو، ولم يكن السؤال الموجه إليه من الممتحن خاصاً بهذه المادة ولكنه تدرج في إجابته بمهارته حتى نقل الحديث إليها فقال للممتحن : لكم في هذه المسألة رأى تعزونه بحجج سردها له ، ولكن أنا لى رأى آخر . وأخذ يعززنظرية ببراھين قوية فجاور في شرحه الزمن المخصص لكل طالب في امتحان اللسانس . وكان سائر الأساتذة الممتحنين قد حضروا فبقوا جميعاً يستمعون لبيان سعد بكل تنبه ، وعلامات الاستغراب بادية عليهم من رجل يتقدم إليهم ليمتحنوه وهو لا يقل عنهم غزارة مادة !! يتكلم الفرنسية بصعوبة ولكن اللفظ يؤدي المعنى تماماً .

فلما انتهى من شرحه سأله الأستاذ الممتحن : من أى بلد أنت ؟ فأجابه : أنا مصرى . فسأله : وماذا تعمل في مصر ؟ فرد عليه : أنا مستشار في محكمة الاستئناف . فقال : إني أهنيء محكمة الاستئناف المصرية بمستشار مثلك . فصفتت وتهللت مع الحاضرين من مواطنينا ، ولعلها كانت أول مظاهرة لسعد وأحبها إلى قلبه .. وإن الذى دفع سعد إلى أن يتقدم وهو مستشار لينال شهادة اللسانس من كلية الحقوق في فرنسا هو ما جرى بينه وبين مستر بوند الذى كان وكيلًا لمحكمة الاستئناف الأهلية من جدال عنيف في مسألة قانونية اختلفا فيها رأياً ، فقال بوند لسعد : إنك لا تستطيع أن تبدى في هذه المسألة رأياً سديداً لأنك لم تعرف اللغة الفرنسية ولم تدرس الحقوق . فكفى هذا التحدى باعثاً على أن يتعلم سعد اللغة الفرنسية ويحصل على شهادة الحقوق من كلية باريس وهو مستشار .

وأذكر أنه أخذ يتعلم اللغة الألمانية وهو شيخ جاوز الستين من عمره .

### ٣ - قانون التعاون في الجمعية التشريعية

#### قبل وقوع الحرب الكبرى الأولى

عرضت الحكومة على الجمعية التشريعية مشروع القانون الذي كانت قد وضعتة لإنشاء التعاون الزراعي في البلاد تلبية لرغبة الأمة الملحة فألفته الجمعية غير واف بالحاجة وغير مؤد إلى النجاح لما وضع فيه من قيود ثقيلة أملاها خوف المحتلين من أن تتحول النقابات الزراعية إلى هيئات سياسية . ولذلك لقي المشروع معارضة قوية من سعد وصحبه ، فقرر المجلس تأليف لجنة من أعضائه لإعادة النظر فيه . وكان سعد رئيسها فدعاني وقال لي : أود أن تعاوننا في هذا الشأن الوطني العظيم وأنت دكتور في العلوم الاقتصادية والمالية وأرجو أيضاً أن تعبرني ما عندك من مؤلفات حديثة خاصة بالتعاون والنقابات الزراعية لأني خالي الذهن من كل ذلك ، فأعطيته ما كان عندي من كتب . واجتمعت اللجنة بعد ذلك بأيام قليلة ، فكم كانت دهشتي عظيمة إذ رأيت سعداً قد ألم بشؤون التعاون إلمام الأستاذ المتخصص . وكأني به أيضاً قد استظهر الكتب الضخمة التي لم أقدمها له إلا منذ بضعة أيام ! ....

سألنا أساييع عدة في درس الموضوع وتعديل المشروع أو بالأحرى تغييره برمته وتقدمت اللجنة للمجلس بمشروعها الجديد ، ولكنه ارتطم بصخرة الإرادة الانكليزية فطوى ولم نعد إلى مسألة التعاون الزراعي إلا بعد الحرب الكبرى الأولى ، لما أسندت وزارة الزراعة إلى المغفور له فتح الله بركات باشا . فعكفنا على وضع أسس النظام الاقتصادي الزراعي التي أنشئت عليها الجمعيات التعاونية القائمة الآن .

## ٤ — فتح الله بركات باشا

أما وقد تطرق بي الحديث إلى ذكر المغفور له فتح الله بركات باشا يقتضيني واجب الوفاء أن أنوه بمناقبه وقد ربطتني وإياه أواصر وثيقة من الألفة والود الخالص وساهمت معه في حل أكثر من معضل اقتصادي وزراعي فألفيته — وهو الوزير الفلاح الذي لا يحيد التكلم إلا باللغة العربية — من أوائل الرجال الذين خدموا الاقتصاد الزراعي نائباً ووزيراً .

وكان من أبرز مقومات شخصيته سرعة البادرة وحدة الذكاء ، والهمة الطامحة الوثابة والتحرر مما يسمونه الروتين الحكومي حين يبدو له رأى يرى في الأخذ به تحقيقاً لمصلحة عامة . ولم يستنكف أن يحيط نفسه بأهل الذكر المتخصصين من مختلف الهيئات والشخصيات يستمد معونتهم ويستشير برأيهم ويعمل بمشورتهم .

ويحضرني من تصرفاته الجريئة حادث إن دل على شيء فإنما يدل على مقدرة فائقة وحزم في تصرفه للأمور — كانت لجنة حكومية قد أعدت مشروع التعاون الزراعي الآنف ذكره وقطعت في تحضيره عدة جلسات ، بيد أن الوزير فكر في أن يضم إلى تلك اللجنة بعضاً من الذين توسم فيهم الكفاية ، منهم الأستاذ عزيز خانكي بك والمرحوم حسن سعيد باشا وكاتب هذه السطور . وما إن تصفحنا المشروع المعروف علينا حتى ألقيناه لا يبق بالعرض المقصود منه فلم نقره ، فرغب إلينا فتح الله بركات باشا في أن نفرد بدراسته وإدخال ما نراه من تعديلات عليه ، فعمدنا من أجل ذلك عدة جلسات في مكتب حسن سعيد باشا ووضعنا مشروعاً جديداً كان هو الذي تقدم به الوزير إلى البرلمان لإقراره كما سبق القول .

وفي ذات يوم كنت مع فتح الله باشا نتبادل الرأي في الشؤون القطنية فصارحته بأن من أهم العوامل وأفعالها تأثيراً في حماية الأسعار معرفة المخزون من القطن في نهاية كل

موسم ، وقد طالبنا مسرراً بإحصاء دقيق لذلك المخزون فأبّت علينا ذلك شركة المحاصيل في إصرار متذرة بأعذار واهية ذكرتها لمعالیه وفندتها عذراً عذراً ، فدفع إلى ورقا وقلما وقال : أكتب لرئيس شركة المحاصيل أن الوزارة مصرة كل الإصرار على إجراء جرد شامل للمخزون من القطن تحقيقاً للمصلحة العامة ، وأنها قد نذبتك للاجتماع بمجلس إدارة شركة المحاصيل لتقرير الخطة المثلى التى يجب أن تتبع فى حصر المقادير المختلفة من محصول كل عام . فحررت الخطاب بمكتب معاليه وهمت بالانصراف ، ولكنه استبقانى واستدعى سكرتيه ودفع إليه بالخطاب الذى قد حررته طالباً إليه أن يبيضه ويسجله ويحضره توثيقاً للتوقيع عليه ثم سلمنى الخطاب الرسمى فسافرت إلى الإسكندرية وأطلعت رئيس شركة المحاصيل عليه ، فما كان منه إلا أن جمع المجلس وانتهت المناقشة التى جرت فيه بقبول عمل الجرد وقد نفذ فعلاً ... جرى كل هذا فى أقل من أسبوعين ، فما أحرى وزراءنا أن ينهجوا نهج فتح الله باشا فى البدار وسرعة القرارات والتنفيذ والاستعانة بأولى الراى والذكر من صفوة رجال الأمة وعلمائها .

ومن مفاخر المرحوم فتح الله باشا الكبرى نجاح المؤتمر القطنى العالمى الذى عقده فى القطر المصرى سنة ١٩٢٧ « الاتحاد الدولى لجمعية أصحاب مغازل القطن ومعامل صنعه » نجاحاً منقطع النظير حتى إن المؤتمرات التى أقيمت عندنا بعد ذلك والتى شهدناها فى البلدان الأخرى لم تبلغ فى نجاحها الشأ الذى بلغه . وقد ساهم فى تحقيق ذلك النجاح العظيم صديقى فؤاد أباطه باشا المدير العام للجمعية الزراعية الملكية الذى اختاره آنثذ فتح الله باشا سكرتيراً للمؤتمر منوطاً به تنظيم الاجتماع ، فأظهر براعة نادرة بزبها جميع المنظمين الأوربيين وتبجلى بهاء المؤتمر فى الموضوعات التى نوقشت فيه وهى مدونة فى مجلد أعماله كما تجلّت فيه بهجة الاحتفالات التى شهد فيها الغزاون أجمل وأكمل مظاهر الكرم الشرقى والذوق السليم .

## ٥ — نشأة الوفد

يعرف الجميع كيف نشأ الوفد . كنت مع الرجال الأولين الذين فكروا في إنشائه وكنا نقضى كل أيامنا من الصباح إلى الغروب في بيت سعد ، لا يسمح لنا — إلا نادراً — بتناول الغداء إلا على مائدته ما لم يهرب أحدنا مرة فيلقى في اليوم الثانى من الباشا أشد العتاب . وما كان لنا أن نشكو من هذه الضيافة الكريمة إلا من جهة تعرضنا للسمن لما كان يقدم لنا من طعام شهى مغر بالنهم !

أخذنا في العمل وكان الوفد بحاجة إلى محرر يتقن اللغة الفرنسية فكلفني سعد أن أبحث عن الشخص اللائق على أن يكون مصرياً إذا أمكن ، وكنت قد عرفت المرحوم جورج دومانى في الإسكندرية وقرأت له بعض مقالات تدل على تمكنه من اللغة الفرنسية فقاخته في الأمر فوافق عليه وقررنا لدومانى مر بوطا قدره عشرون جنيهًا في الشهر على ما أذكر . وقد ظل دومانى سكرتيراً للوفد المصرى إلى أن تألف وفد عدلى باشا يكن فالتحق به كما هو مفصل في كتابى « صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث . مفاوضات عدلى — كرزى » .

اتفق على أخذ توكيلات من الأمة للوفد بأن يتولى المطالبة بحقوق المصريين فقال لى سعد : أجلس إلى مكتبى لنملى عليك صيغة التوكيل . وأخذ أعضاء الوفد الحاضرون يناقشون كل كلمة فأصحح وأعيد إلى أن وصلنا إلى الصيغة التى وقع عليها الأفراد والهيئات فكانت فتح باب العمل للوفد ، ذلك العمل الذى عكف عليه سعد وإخوانه ليلا ونهارا بلا هوادة ولا ملل ولشد ما كان عملا شاقا ومضنيا ولكن الحماسة وقوة الإيمان كانتا تكسبان العاملين جلدًا لا يعرف الوهن وتلهفًا للتضحية بكل شىء حتى الحياة .

## ٦ - سعد في جمعية الاقتصاد السياسي

علمنا أن المستر « برسيغال » المستشار بمحكمة الاستئناف الوطنية سيقى في السابع من فبراير سنة ١٩١٩ محاضرة في هذه الجمعية عن الحماية التي فرضتها إنجلترا على مصر فرضاً وأن المحاضر سيعالج تبرير هذه الحماية من وجهة القانون الدولي ويرثى تعديلات اقترح إدخالها على قانون الجنائيات الأهلى . فعزم سعد على سماع المحاضرة والرد على المحاضر ، فذهب إلى مقر الجمعية مع صحبه وكنت معهم ، وجلس في الصف الأول وأجلستنى بجواره ، واكتظت القاعة بالشبان المصريين وجم غفير من رجالات القانون والعلم مصريين وأجانب ، فلما انتهى المحاضر من الكلام انبرى له سعد مفنداً أسانيده وبراهينه بعبارة عربية مرتجلة جميلة ومنطق بديع أثار عواطف الحاضرين فدوى المكان بالتصفيق الحاد المتواصل واغرورقت عيناي بالدموع من شدة التأثير . وهذه الحادثة مشهورة لا أرى أن أطيل في شرحها ، إنما أذكر أن مجلة « جمعية الاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع » التي نشرت محاضرة « برسيغال » بنصها منعت من نشر رد سعد باشا عليها ، مخالفة بهذا المنع تقاليد الجمعية وذلك بأمر الرقابة البريطانية على النشر . ولكن أقوال سعد نشرت وقرأها الناس مائة مرة أكثر مما كانوا يقرأونها لو كانت قد نشرت في المجلة .

ولعل هذا الحادث كان فتح الباب لما ألقى بعد ذلك من خطب حماسية وطنية كان لسعد باشا في مضمارها القدح الملقى ، فما كان أجمل صوته وأحلى أسلوبه وأقوى حججه ! إننى لم أسمع خطيباً عربياً أفصح منه وأشد تأثيراً في الأنفس .

## ٧ - من مظاهر تعلق عبد العزيز بسعد

أذكر أنه في مساء ذلك اليوم كان عزيز بحرى يحبى حفلة ساهرة في منزله

بجاردن سیتی وسألنی أن أدعو إليها سعد باشا وصحبه من رجال الوفد وأن ألح عليهم ، فلم يترددوا في تلبية الدعوة ، وكانت حفلة لطيفة ألقى فيها عبد العزيز فہمی خطابا بليغاً شديداً بمزايا سعد ، ومظهراً شدة تعلقه به ، وكان يستهل كل جملة من الجمل التي يصف بهامناقب سعد باشا بقوله : إن سعد زغلول ... إلخ وكرر ذلك مراراً ، وفي المرة الأخيرة قال : إن سعد زغلول ... وتوقف قليلاً ليجد ما يقوله ، فأسرعت زوجتي وصاحت : إن سعد زغلول يجب أكل الفول ! فقہقه الباشا وأجابها من فوره وبسرعة خاطره المشهورة : نعم ياسيدتي وهذا من مفاخرى إنى أحب هذا الطبق الوطنى اللذيذ ! ثم أرادت زوجتي أن تصلح ما قد يكون في عبارتها الأولى من عدم الكلفة فرفعت كاساً وقالت بالفرنسية :

" Je bois au grand Conducteur des foules, je bois à Saad Pacha Zaghloul "

« أشرب نخب قائد الجماهير العظيم ، أشرب نخب سعد باشا زغلول » .

وعلى ذكر خطبة عبد العزيز التي ألقى بها سعداً أقول إنه كان يحب الباشا حباً خالصاً ويقدره أعظم تقدير ، وكانت له في نفسه مكانة خاصة من الإجلال والاحترام ، فكان لا يتسامح مع أحد في أن يذكر سعداً حتى على سبيل المزاح بغير عبارات التجلية ، ويحضرني حادث صغير يؤيد ما أقول :

لما كنا في باريس سنة ١٩١٩ عاد عبد العزيز فہمی ذات يوم إلى المنزل الذى نقطنه معاً وهو يحمل رسماً شمسياً كبيراً لسعد موقماً عليه بخطه وإمضائه إنه مهدى إلى صديقه يوسف نحاس ، وأنا تحتفظ بهذه الهدية السكرية ، فعندما سلم عبد العزيز الرسم إلى زوجتي الغيابة عن المنزل آنثذ قائلاً لها إنه يحمل لى أئمن تذكاًر من الباشا ، أجابته مازحة : وما أهمية هذا التذكاًر ؟ فاندفع مسترسلاً في تأنيبها على هذا الكلام الذى لا يجوز أن يقال حتى ولو على سبيل المزاح . فما أقسى القدر حين يفرق بين



لا يؤخذ به رسمياً فوعد . ولكنه لما خرج من عندي إلى نادى محمد على وجلس إلى المغفور له ثروت باشا وكان وزيراً للحقانية روى له ما سمعته منى بصفة شخصية أيضاً وثروت رواه بدوره إلى السير « ما كلريث » مستشار الحقانية بالصفة نفسها ولكن المستشار أراد أن يقف على جلية الأمر فانتدب مفتشاً انجليزياً للنيابات اسمه المستر « فرنز » للتحرى بطريقة غير رسمية . فذهب المستر « فرنز » إلى الزقازيق وقابل المدير وأخبره بمأموريته ورجاه في أن يكلف مأمور مركز قاقوس وأشخاصاً آخرين ان ينتظروه في صباح اليوم التالى . وسرعان ما خاطب المدير مأمور المركز وطلب إليه الاتصال بالأشخاص الذين سيقابلون « فرنز » ويعمل لنفى ما نسب إلى صهره وكيل النيابة . وقد نجح المأمور ونفى كل أولئك الأشخاص ما عزى إلى وكيل النيابة مؤكداً أنه لا يبرح محل عمله .

كنت خالى الذهن من كل ما جرى إلى أن لقيني أحد أصدقائى من أهل قاقوس وقال لى : لماذا أوجدت نفسك فى هذا المأزق ؟ إنك اتهمت وكيل النيابة بتهمة قرر كل الذين سئلوا عنها عدم صحتها . أثارنى هذا الأمر فخاطبت فيه المغفور له ثروت باشا فقال أن المستشار أراد أن يتبين الحقيقة وإن كنت لم تبلغ عن الحادث رسمياً وإنى آسف لما جرى وأثق أنك صادق وأنصح لك بمقابلة المستشار شخصياً والاجتهاد بإقناعه .

طلبت مقابلة المستشار وانتظرت وقتاً عند سكرتيره مكرم عبيد إلى أن أذن لى بالدخول فوجدت رجلاً مقطب الوجه غير مستعد لسماع كلامى قائلاً : إن المستر « فرنز » قد تحرى الأمر بدقة ، ويكفيك أننا لا ننوى مؤاخذتك بالذى افتريت به على وكيل النيابة . فكان ردى عليه رداً شديداً بما خرجت فيه عن حدود الاحترام الواجب لمنصبه ومما قلته إن وقوف المسألة عند هذا الحد لا يرضينى بل

أريد تحقيقاً رسمياً في مواجهتي ولو أنضى ذلك إلى محاكمتي فأبى وصرفتي  
بجفاء (١)

خرجت من عنده إلى منزل سعد باشا فلما رأني مضطرباً سألني عن السبب ،  
وما كدت أفشى به إليه حتى طلب « ما كلريث » تليفونيا وقال له أنه يريد  
مقابلته حالا ، ورجاني أن أبقى في منزله حتى عودته . فلما عاد أخبرني بالحديث الذي  
دار بينه وبين المستشار فقد استهله بالسؤال الآتي : أعتقد جنابك أي رجل صادق ؟  
أجابه المستشار « بلا شك » . إذن فاعلم أن صديقي يوسف نحاس مثلي تماماً في الصدق  
ويستحيل أن يكون قد اختلق ما قصه على شكرى باشا في محادثة شخصية بحته .  
فأبدي المستشار أسفه لسعد باشا ووعدته بأنه سيعيد التحقيق بحضورى . ولم أكن  
قد طلبت من سعد باشا أى توسط .

انصل بي المستر « فرنز » وكلفني مقابلته في اليوم التالي برئاسة النيابة في  
الزقازيق . وقد أخذ التحقيق دوراً حاداً في الغاية انتهى بأن قال لي جنابه : إننى حزين  
لأننى وقعت في الفخ والآف انجلى لى كل شيء ، واعتبر نفسى مسؤولاً شخصياً  
عما لحق بك من انزعاج أدبى . وستقدم لك الترضية الكافية . وهذا ما وقع فعلاً  
عندما قابلت المستشار للمرة الثانية فاعتذر بكل أدب واتخذ مارآه من الإجراءات  
مع موظفيه كما اتخذت إجراءات مماثلة مع الموظفين التابعين لوزارة الداخلية .

---

(١) إن هذا المستشار الذى تنكر لي ولا فاني بحفوة وبرود هونفس المستشار الذى  
دعاني إليه عام ١٩٠١ لما أهديته كتاباً بالإفريقية عن « الفلاح المصرى » . حالته  
الاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن هنأتى بحرارة ألح علىّ فى أن أقبل تعيينى  
قاضياً فى المحاكم الوطنية لحاجتها إلى شبان مثقفين من أسر كريمة . فشكرته  
معتذراً . وهذا غير مستغرب من الانكليز فانهم ليسذكرونك ويجهلون معرفتك  
حسب مقتضيات الظروف !

هذا مثل من وفاء سعد لأصدقائه رأيت لزاما على أن أوردته درساً في الأخلاق  
السامية ليتدبره شبابنا . فإنما الأمم الأخلاق !

## ٩ - شدة اعتداد سعد بكرامته وكرامة أصدقائه

الح عليّ المغفور له محمد باشا محمود يوما - وكنا في بيت سعد باشا - أن  
أكون عضواً في نادى « محمد على » وانضم إليه سعد باشا قائلاً : يجب أن تكون معنا  
في النادى ، وسأقدمك أنا مع صديق آخر لك من أعضاء مجلس إدارة النادى ، وقد  
رشحنى فوراً هو والمرحوم محمد شكرى باشا الذى كان آنثذ وكيلاً للحقانية .

بعد مضيّ أيام رأيت حمى المغفور له يوسف سابا باشا داخلا علينا في منزله وهو  
مضطرب فقال لى : كيف طلبت دخولك نادى « محمد على » من غير أن تستشيرنى في  
الأمر ؟ إنهم رفضوا طلبك ، وإننى استقلت من النادى احتجاجاً . وقع علىّ هذا الخبر  
غير المنتظر وقوع الصاعقة وكان صديقى عبد العزيز فهمى قد اعتاد أن يمر علىّ في  
صباح كل يوم لذهاب معاً إلى بيت الأمة ، فلما علمت ماجرى رفضت الذهاب معه  
وقلت له في حدة : هذا آخر عهدى بسعد باشا الذى فرط في كرامتى ، وعرضنى لهذه  
الإهانة . فأسرع عبد العزيز إلى سعد ليستوضحه الأمر وما كاد يتركنى حتى طلبنى  
تليفونيا وقال لى : احضر حالا عند الباشا لتعلم منه كيف ذاد عن كرامته وكرامتك .

وجسدت سعد باشا جالسا مع عبد العزيز في الغرفة الصغيرة التى فيها مكتبته ،  
فخاطبني قائلاً : إن هذا التصرف لم يكن موجهاً إلى شخصك وإنما أرادت جهة ما أن  
تلحق بى إهانة تعرف هى أننى لا أطيقها فأوعزت إلى اثنين<sup>(١)</sup> من أعضاء مجلس

(١) بعد مضيّ عدة أعوام أعترف لى المرحوم عباس الدردر مللى باشا أحدهما  
بفعلته معتذراً لى بأنه أكره عليها من مولاه لكرهاً . أما الثانى الاثنين فكان  
المرحوم رويير رولو .

إدارة النادي بأن يصوّتاً ضدك فرضاً مكرهين . وهذه هي صورة الكتاب الذي أرسلته أمس إلى رئيس النادي . ودفع إليّ بورقة قرأت فيها « إنى أعلم أ كيداً أن عدم قبول طلب يوسف نحاس بك لا يقصد به شخصياً ذلك الفاضل بل إنه إجراء تعمدت به الإساءة إليّ ، فمن أجل ذلك أقدم لكم استقالتي من النادي » .

ومضت السنون ولم تطأ قدم سعد باشا عتبة نادى « محمد على » إلى أن اختاره الله لجواره . وقد ذهبت ضياعاً جميع المساعي التي بذلت لعدوله عن استقالته ، وكان ذلك الحادث من الدوافع التي حملته على تأسيس النادي السعدى الموجود حتى الآن . حيناً الله رجال الأخلاق والكرامة !

## ١٠ — شاهدان آخران على دقة شعور سعد نحو أصدقائه

### الشاهد الأول :

لما شرع في اختيار أعضاء الوفد المصرى أراد سعد أن أكون منهم ، ولكن عبدالعزيز فهمى عارض في ذلك قائلاً : نحن في حاجة إلى شخص نثق به ثقة كاملة يكون من غير هيئة الوفد الرسمية ، فإذا أردنا مثلاً إيفاده إلى الخارج في أمر ذى بال استطاع بسهولة الحصول على جواز السفر ، وإذا طرأ ما يدعو أن نستودعه أوراقاً هامة أو نقوداً اطمأننا إليه كل الاطمئنان ، ويوسف نحاس خير من ندخره لمثل ذلك . هذا ما قاله لى سعد باشا وسألنى رأيي فأجبت : إن ما يختاره لى صديقى عبدالعزيز وتقرونه عليه يصادف من نفسى كل ارتياح . ولما فاتحت عبدالعزيز في ذلك قال لى : أعتقد أنك تكون أنفع لنا وأنت خارج الوفد للسبب الذى أبديته لهم ، ولسبب آخر لم أبده ، فإنك وأنت خارج الهيئة ستظل محتفظاً بحسن علاقتك بسعد ، مسدوع الكلمة عنده ، فتفيدنا في كثير من الشؤون . أما إذا أصبحت مرءوساً له فأنا أعرف

طبعك وطبعه ، وأخشى أن تصطدما وألا تحتل الصدمة فننقد معونتك لنا ،

الشاهد الثانى :

قال لى سعد باشا : إنهم عرضوا علىّ ضم إسماعيل صدقى باشا للوفد ولكنى أعلم أن بينك وبينه سوء تفاهم ، فأرجأت الجواب إلى أن أقف على رأيك ، فشكرت لى باشا دقة شعوره وأضفت : إننى لا أكون جديراً بالعمل معهم إذا حكمت عواطفى وميولى فى مثل هذا الموقف ، وهو موقف جلل ، فإذا رُئى أن صدقى باشا يصلح لمضوية الوفد فيجب قبوله . وفى صباح اليوم التالى لما دخلت إلى مكتب سعد باشا قام لمقابلتى ومعه صدقى باشا وقال . أرجو أن تتصالحا ، فرد صدقى « إننا صديقان » وتصالحنا .

## ١١ — أدب سعد الاجتماعى

إدحاضاً لما كان يقوله خصوم سعد عن جفوة فى طبعه أوكد أنه كان رجلاً لا يفوته أن يؤدى شيئاً من واجباته الاجتماعية ، ولدى لإثبات ذلك عدة شواهد ، أورد منها ما يأتى :

١ — أنعم على سعد باشا عام ١٩١٨ بوسام وكنت يومئذ بعيداً عن القاهرة فكتبت إليه أهنته فرد علىّ بهذا الكتاب وهو بخط يده :

مصر فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٨

عز يزى يوسف بك نحاس

تلقيت خطابكم الرقيق وأشكركم عليه خالص الشكر ، وإن ابتهاجى بمثل ما ورد فيه من آيات رضى الإخوان أعظم من ابتهاجى بأ كبير « نيشان » فأرجو الله دوام هذه النعمة وأن يمتعني بلقاءكم فى أبعده الأوقات والسلام

سعد زغلول

—٢١—

٢ — في شهر يوليو سنة ١٩٢٠ كنت في باريس وكان سعد باشا مع صحبه في لندن لمباحثة اللورد « ملتر » في القضية المصرية. فأرسلت إلى سعد باشا كتاب تهنئة بمناسبة عيد من الأعياد فورد إلى الشكر مكتوبا وموقعا عليه بيد سكرتيره الخاص كامل بك سليم. كبر على نفسى هذا الأمر وكتبت إلى عبد العزيز فهمى أقول له : إننى سأمتنع بعد الآن من التحرير للبasha في المناسبات الاجتماعية لأدخر له من وقته في تلاوة محرراتى ما أصبح لا ينسح حتى للتوقيع على رد يكتبه سكرتيره. فجاءنى من سعد باشا الكتاب التالى الناطق بعلو نفسه ، وكرم أخلاقه ، ودقة تقديره للواجبات الاجتماعية ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠

حضرة صاحب العزة الفاضل يوسف بك نحاس

أطلعنى حضرة صديقنا عبد العزيز بك فهمى على خطاب وارد إليه منكم يشف عن تأثركم من كتاب أمضاء الكاتب عنى لكم بدل أن يمضى منى ، ولو أنكم تمثلتم ماضينا وتأملتكم حاضرا ما خطر ببالكم أن تتأثروا من أمر لا يمكن تصور العمد فيه بيننا ، بل كنتم تحملونه على ما حمله ذلك الصديق بعد قراءة خطابكم وقبل اطلاعى عليه مما سيفصله لكم على عادته من التدقيق والتحقيق فتعلم أن العزة فيكم تغلبت على العدالة عندكم وأنكم ضننتم بحسن ظنكم وكرم تأويلكم على من ليس لكم عنده إلا الإعزاز والاحترام .

( سعد زغلول )

وفي نفس التاريخ أرسل إلى عبد العزيز فهمى الخطاب التالى :

لندره في ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠

صديقى العزيز

أول ما تلوت كتابكم أدركت أن سعد باشا كلف الكاتب بالتحرير لكم بما أراد على فكرة أن الكاتب بعد التحرير يعرض عليه المکتوب ليمنضيه . ولكن الكاتب يكون قد أساء الفهم ، وافكر أنه مكلف بالتحرير لكم مباشرة ويامضائه ، وفعل

كما افكر ، ويكون سعد باشا نسي وذهب عن خاطره أن يطالب المحرر ليمضيه هذا ما خطر بفقري واقد تحققتة إذ سألته قبل اطلاعه على خطابكم كيف أنه بصرح للسكرتير أن يكتب لكم بامضائه ؟ فدهش من سؤالى وقال بالحرف الواحد « اننى أمضى خطاباى لأصغر الناس ويستحيل على أن يخطر ببالى أن أدع الكاتب يمضى بنفسه خطابا منى لئلا يوسف بك ، الذى هو فضلا عن كونه من أفاضل الرجال ، فانه من أصدقائى الأعزاء الذين أحترمهم ولا بد أن يكون الكاتب أساء الفهم فنتج هذا الخطأ الذى ما كنت أود مطلقاً وقوعه » عند ذلك أطلعت على خطابك وخطاب الكاتب فقال :

« إن اىوسف بك الحق فى الغضب ولكن لا حق له مطلقاً فى أن يعمل لى إنذارا ultimatum للقاطعة بل كان أملى فيه قبل عمل هذا الانذار أن يستعلم عن حقيقة كيفية وقوع الأمر ، وعلى كل حال فإنى سأكتب إليه وأرجو أن تكتب له أنت أيضا ، فان يوسف عزيز على شأنه » . هذا يا صديقى ما كان ولقد كتبت إليك اليوم وأنا الكسول عن الكتابة .

أكتب إليك أيضا حتى تسرى غضبك الناشئ عن تلك الهفوة غير المقصودة والتي حدثت بدون علم ولا شعور من المنسوبة إليه ولعلك تقبل عذر الرجل ويستمر قلبك ، كما كان ، صافيا . والسلام عليك ورحمة الله .

عبد العزيز فهمى

عند تسلمى هذين الكتابين بادرت بالتحجير إلى سعد باشا ما نصه :

باريس فى ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠

سيدى العزيز حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا .

لقد سررت كثيرا بكتاب معاليكم ولا شك عندى فى أنكم لم تحملوا تأثيرا إلا على محمله الحقيقى وهو فرط تعلقى بالصدقة التى شرفتمونى بها من عهد بعيد .

— ٢٣ —

أرجو ياسيدى العزيز أن أراكم قريباً حاملين أكابيل الظفر متمتعين بالصحة  
التي أتمنى لكم دوامها .  
وتفضلوا بقبول تحياتى الخالصة وفائق احترامى .

يوسف نحاس

٣ — تدهورت أسعار القطن المصرى عام ١٩٢٤ تحت ضغط المضاربة الأجنبية  
وكان سعد باشا رئيساً لمجلس النواب فأرسلت له تقريراً أوضحت فيه مركز السوق  
القطنية والعوامل المتفعلة التي تحل بتوازنها مقترحاً أن تتدخل الحكومة فى الأمر  
لخطورته فجاءنى منه الرد التالى :

مسجد وصيف أول نوفمبر سنة ١٩٢٤

أخذت خطابكم المختص بطلب التوسط لدى الحكومة كي تدخل سوق القطن  
وأتأسف جد الأسف لأن ميلى من هذه المسألة . وإن كنت لست من المختصين بها .  
غير متفق مع رأيكم ، وأعلم أن وزارة المالية المختصة بها مهمة كل الاهتمام بأمرها  
وأعتقد أن الحكومة لا تتردد فى الأخذ برأيكم متى تبين لها وجه الصواب فيه ، وأنتم  
بالطبع أقدر الناس على شرحه وتأيينه ، فما عليكم إلا أن تجتهدوا فى إقناعها بصحته  
وفوائده والسلام .

سعد زغلول

وقد اجتهدت فعلاً وأقنعت سعد باشا نفسه فى اجتماع كبير ضم عدداً من النواب  
والشيوخ فى منزله فأشار على وزارة المالية بالتدخل . وما أن أعلنت تدخلها حتى انتعشت  
السوق وعادت إلى توازنهما من غير أن تحتاج الحكومة إلى شراء أى مقدار من القطن .  
٤ — ويجدر بى وقد تطرقت فى حديثى إلى موضوع القطن وأسعاره أن أثبت  
هنا ما جرى بينى وبين المستشار المالى للحكومة المصرية عام ١٩٢١ بصدد هذا الشأن  
الحوى الخطير .



ارتفعت أسعار القطن المصرى عام ١٩٢١ ارتفاعا عظيما وصل بها إلى مائتى ريال ذهباً للقنطار الواحد ، فقرضت الحكومة على كل قنطار ضريبة قدرها خمسة وثلاثون قرشا . فكتبت مقالات عدة بجريدة ( جورنال دى كير ) متهمة بتوقيع « اقتصادى » انتقدت بها فرض هذه الضريبة من حيث مبادئ علم المال التى وضعت للضرائب . وكان انتقادى لفرض هذه الضريبة لازعا شديد اللهجة مما جعل المستشار المالى البريطانى ( بول هارفى ) يرغب فى أن يتعرف شخصية الكاتب ، وكلف المرحوم يوسف بك خلاط البحث عن ذلك الكاتب . وكان حينئذ مشرفا على الشؤون الصحفية بوزارة الداخلية .

وما أن اهتدى إلىّ حتى أبلغنى أن جناب المستشار يرغب فى مقابلتي له ، فاعتذرت قائلا : إننى أخشى أن يخاطبني باللهجة جافية أستكرها منه فأكون مضطرا إلى الرد عليه بشدة لأن طبعى يأبى أن أتحمل اللهجة النابية حتى ولو كانت فى ظل الأحكام العرفية . فما كان من خلاط بك إلا أن أفضى إلى المستشار المسالى بسبب رفضى ، فأجابه « شد ما أنا واهم فيما ظننت ، وأننى سألقى منه كل تكريم » فذهبت إليه فى الميعاد المحدد وأخذت أناقشه مناقشة طويلة سردت أثناءها الأسباب التى دفعتنى إلى انتقاد ما اتبعته الحكومة فى سياستها المالية والاقتصادية ، وكلها لإجحاف وإرهاق للمنتجين . ولما أخرجته بمناقشتى قال : إننى غير مسؤول عن ضريبة القطن ، فإن الذى أشار بها وحبذ فرضها هو محمد باشا شفيق ، وكان أحد الوزراء فى ذلك العهد ، ثم أضاف المستشار قائلا إنه لمندهش من أن أقطع بأن أثمان القطن قد تهبط عن مستواها العالى الذى ارتفعت إليه وهو يعلم أننى من المصريين المتخصصين فى علم المال والاقتصاد ، والثابت عنده يقيناً أن هذا المستوى العالى سيظل كما هو زهاء عشر سنوات على الأقل ، فلاضير إذن على المنتج المصرى أن يتحمل هذه الضريبة الزهيدة التى فرضت على قنطار القطن . فكان ردى عليه : « حقق الله نبوءتك ، على أننى ما زلت أتوجس خيفة من المستقبل » وقد تحقق ما أوجست منه خيفة فى السنة

عينها ، فقد تدهورت أسعار القطن المصرى من ذروة المائتى ريال إلى ثمانية عشر ريالا للقنطار الواحد ، وكان هذا النزول الفاحش حافزاً قويا لكبار المنتجين إلى تأليف « النقابة الزراعية المصرية العامة » التى ناضلت فى سبيل القطن والمحاصيل الزراعية الأخرى فضلاً متواصلًا غير منقطع كما تبين ذلك مواطنونا من اطلاعهم على أعمال النقابة فى غضون الثلاثين عاما التى عملت فيها على خدمة وصيانة الثروة الأهلية والاقتصاد القومى وقد نشرتها فى مجموعة وافية .

استغرقت مقابلتى للمستشار زهاء الأربعين دقيقة ، ولما خرجت من عنده خلصت ما دار بيني وبينه من حديث ، وأرسلت الملخص إلى سعد باشا فى باريس ، فجاءنى منه كتاب مؤرخ فى الرابع عشر من فبراير سنة ١٩٢١ أطرى فيه موقفى لإطراء جاوز ما أستحق ، واختتمه بأبنى قد استحققت تقدير الوطن ، فرددت على معاليه فى الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٩٢١ بالخطاب التالى وهذا نصه :

لشد ما تأثرت بقدر ما تشرفت بآيات التشجيع التى حملها إلى خطابكم الكريم المؤرخ فى الرابع عشر من فبراير الحالى . على أن أجد تشجيع لى إنما هو المثل الرائع للتضحية ، ذلك المثل الذى تضر بونه أنتم والملا الأكرمون من صحبكم الأمثال أعضاء الوفد ، لاللمصريين فحسب بل للعالم بأسره . وقد وهبتم أنفسكم للقضية النبيلة التى وكل إليكم تبعه الدفاع عنها ، وتقبلون راضين مختارين ما يشق على أنفسكم وقد افترقم عن ذويكم واغتربتم عن أرض الوطن المفدى . وأنت يا عزيزى الباشا تتعامل على صحتك وليست فى أحسن حالها . على أنك تستطيع دون كد ولا جهد أن أن تقبوا وعن حق وجدارة أرفع مكانة وتحظى بأسمى تشريف فى بلادك رمزاً لأسمى الصور الوطنية أمام العالم الدولى . إنك قد تقبلت بشجاعة باسمة أظلم معاملة جائرة ، وقاسرت بصحتك فى جولا نطقة من أجل أن تصبح مصر حرة . وأنها دون شك لتصبح حرة عاجلاً أو آجلاً ، وهذا ما تدين به نفسى وتعتقد به . ولا يخالجنى شك فى أن القضايا العادلة سيعقد لها فى النهاية لواء النصر . وفى ذلك اليوم

سنفتش بفرح مسكر لا يعدله فرح ، إذ نرى جهادك يحقق لأمة بأسرها الحرية والاستقلال والحياة . وإن تمنيت أنى ووجدانى لم يفارقا ركابك لحظة ، وما امتناعى عن الكتابة إليك إلا ضناً منى بأوقاتك الثمينة أن أختلس منها شيئاً لنفسى . وأتمنى على الله أن أراك مع إخواننا قريباً فى مصر أو باريس فى شهر مايو المقبل رافلين فى أبهى أبواب الصحة والعافية ، كما أرجو أن تذكر دائماً أننى فى كل شأن — عاماً كان أو خاصاً — رهن أسرك ، وأن ولائى لشخصك لا ولن يتغير .

يوسف نحاس

فما ذكرت الكفاية للدلالة على أن سعداً كان قدوة حسنة ليس فى الوطنية وحدها ، بل فى الآداب الاجتماعية أيضاً . وما أحوجنا إلى احتذاء حذوه فيها . فكم من تهنئة أرسلتها لوزير أو كبير فلم أنسلم عنها جواباً ، وكم من اقتراح قدمته عن شؤون هامة فلم يتفضل على من أرسلت إليه بكلمة شكر أو حتى بما يشعرنى بوصوله إليه .

وقد يطول بى الشرح لو أردت أن أسرد كل ما صادفنى فى هذه الناحية من تقصير لا يمتد فقط إلى ما تقتضيه الجاملات الاجتماعية ، بل يمتد إلى ما يفرضه الواجب مما يجعلنى أبادر فأذكر — على سبيل المثال — أننى توليت جمع وطبع « جهود النقابة الزراعية المصرية العامة فى ثلاثين عاماً » فى سفر ضخ من القطع الكبير بلغت صفحاته زهاء الخمسمائة . أهديته إلى أهل الذكر وإلى الفنانين المتخصصين فى شؤون الزراعة والمال والاقتصاد ، مرفقة كل نسخة بخطاب رقيق جاء فى آخره ( ومع أفادتنا — إذا تكرمتم — علماً بوصوله أرجو أن تتقبلوا تحيات الملخص « يوسف نحاس » السكرتير العام للنقابة الزراعية المصرية العامة ) وبالرغم من هذا الرجاء لم يصلنى من نصف حضرات الذين أهديت إليهم هذا السفر حتى ولا ما يشعرنى بأنه وصل إلى أيديهم . وهو تصرف فى الحقيقة مؤلم للنفس .

على أنه إذا كنت قد نوتت فى غير موضع من هذه الصفحات بما صادفنى من

—٢٧—

محافة بعض الرجال الرسميين وبعض الأقطاب المعروفين لمقتضيات الجمالة الواجبة بغية إصلاح هذا النقص فينا فلا يجوز أن نطلق هذا النقد على جميع كبار رجالنا الرسميين فإن منهم من هم متحلون بأرق صفات الأدب الاجتماعي ، ومحافظون على عدم التقصير فيه مهما كانت شواغلهم .

فقد باشرت في ١٩٥٢/٧/٢٥ بتهنئة الرئيس على ماهر لقبوله رئاسة الوزارة في هذه الفترة العصيبة الفاصلة بين عهدين في تاريخنا الحديث ، معنياً آياه من عبء الرد نظراً لما يكتنفه من صعوبات تقتضيه الانصراف بكلية إلى التغلب عليها ، إلا أن تقاليده العليا في الجمالة أثبت عليه إلا أن يرسل هذا الرد الذي أثبت هنا نصه :  
عزيزي الفاضل الدكتور يوسف نحاس

كان لكتابكم الرقيق أبلغ الأثر في نفسي ، وإني لمقدر لحضرتكم كل التقدير شعوركم الكريم ، وعاطفتكم الطيبة ، وأدعو الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الوطن العزيز .  
وتقبلوا خالص تحياتي وأطيب تمنياتي .  
الخلاص  
على ماهر  
١٩٥٢/٧/٣١

كذلك أرسلت التلغراف التالي نصه إلى حضرة الدكتور بهي الدين بركات الوصي على العرش :

« الهناء لمصر ، لقد تجدد بكم سعداء ، وانتعشت آمالها .. دمت ودام لكم التوفيق »  
جاءني الرد فوراً في ١٩٥٢/٨/٤ تلغرافياً بالنص الآتي :  
الدكتور يوسف نحاس .. أشكركم جزيل الشكر .

بهي الدين بركات

٥ — اعتدى معتد أثيم على حياة مصطفى النحاس ، ولكن الله سلم ، وكنت في فاقوس فأرسلت إليه تلغرافاً مطولاً جداً أظهر فيه استيائي من بشاعة هذا الاعتداء وسروري العظيم بنجاته . فلم يصلني أي رد . ثم بعد ذلك بزمان أوعز إلى أحد زملائي الوزراء هو المغفور له أحمد حمدي سيف النصر أن أهنته بمناسبة أخرى فاعتذرت

وذكرت له السبب ، فلما خاطبه في هذا الشأن نادى سكرتيره الخاص وسأله عن البرقية التي بعثت بها إليه ، فقال السكرتير إنه حفظها ولم يعرضها على الرئيس لأنه ( أى السكرتير ) لا يعرف مرسلها فأهمل الرسالة .

٦ — كان أوجب واجب اجتماعي في نظر سعد مواساة أصدقائه في أحزانهم . ففي عام ١٩٢٤ إذ كان دولته رئيساً للحكومة فجئنا بوفاء حتى المرحوم يوسف سابا باشا ، ولعلمي بالصدقة المثينة التي كانت تربطه بسعد قصدت إلى منزله لأبلغه الخبر فلقيت مصادفة المغفور له محمد توفيق نسيم باشا وكان يترجل من سيارته . فسألته أن ينوب عني فيما أنا حاضر من أجله ، فاغورقت عيناه بالدموع وأمسك بيدي وأدخلني إلى مكتب سعد باشا حيث كان الوزراء جميعهم مجتمعين به . فلما علم سعد بالنبا ظهرت على وجهه علامات التأثر البالغ وطفق يؤبن صديقه بعبارات أسالت عبراتي ، ومما قاله إنه من أشق الأشياء على نفسه أن يرى الموت يختطف أحباءه ويبقيه ليدوق لوعة فراقهم . ثم التفت إلى نسيم باشا — وكان وزيراً للداخلية — وقال له : ( أرغب في أن تعولوا لهذا الرجل العظيم أعظم ما يمكن من التكريم ) . أراد أحد الوزراء أن يقرظ أيضاً الفقيه فقال : « إنه كان رجلاً نزيهاً » فرد عليه سعد بلهجة الغضب : « هذه صفة سلبية لا يمدح بها مثل سابا باشا »

وعند تشييع الجنازة وجدت سعداً في المقدمة ، وكان متعباً جداً لا يمشي إلا بمشقة والسعال يقطع عليه التنفس ، فألححت غير مرة في أن يكف عن السير ، ثم جذبته من ذراعه وخرجت به إلى الإفريز المحاذي لنادى ( ريزوتو ) بشارع سليمان باشا ( شركة ايرفرنس الآن ) وطلبت كرسياً أجلسه عليه ليستريح مما تحمله من النصب .

## ١٢ — مذكرة الوفد لمؤتمر الصلح ومذكرة اقتصادية

كلف صديقي باشا كتابة التقرير السياسي الذي قرر الوفد وضعه باللغة الفرنسية

عن القضية المصرية وتقديمه لمؤتمر الصلح ، فلما آتته وعرضه على الهيئة ، رأت أنه في حاجة الى تعديل ، واقترح بعضهم أن يعهد إلى في ذلك ، فلما أبلغت هذه الرغبة اعتذرت خشية أن يتأثر صدقي باشا ، ولكنه حضر إلى بنفسه وقال : أرجو بالخاص أن تعدل تقريرى كما تشاء ، فأكون مديناً لك بالشكر . فقبلت وعكفت مع ( جورج دومانى ) عدة أيام في منزلى على وضع التقرير الذى كتبناه أنا ودومانى وقد طبعه الوفد وقدمه سعد باشا إلى « جورج كليانصو » رئيس مؤتمر الصلح بخطاب مؤرخ في العشرين من يناير سنة ١٩٢٠ .

وتلقيت أيضاً من الوفد المذكورة التالية التى ألقاها بحروفها :

الوفد المصرى

## يوسف نحاس

- ١ — المساعدات التى بذلتها مصر في الحرب لمساعدة الحلفاء من رجال وأموال وخسائر .
- ٢ — القطن وتحديد أثمانه وانتقاد ذلك ، وانتقاد السياسة الزراعية في البلاد .

ملحوظة :

يشارك مع حضرتكم في البند الأول سعادة يوسف قطاوى باشا .

\* \* \*

تنفيذاً لهذا القرار وضعت تقريراً ضافياً طبعه الوفد أيضاً باللغة الفرنسية والعربية وأذاعه في مختلف الجهات ويحده القارىء منشوراً في مجموعة أعمال « النقابة الزراعية المصرية العامة » التى طبعتها حديثاً بعنوان « جهود النقابة الزراعية المصرية العامة في ثلاثين عاماً » .

## ١٣ - بوادر الخلاف فى الوفد

على أثر الغضبة القومية الروّعة وما أدت إليه من ثورة عنيفة بسبب اعتقال سعد وصحبه الثلاثة فى مالطة ، أطلق سراحهم وأجيز لهم السفر إلى باريس . فقام من القاهرة يوم ١١ أبريل سنة ١٩١٩ لمقابلتهم فى مالطة باقى إخواننا من أعضاء الوفد وغيرهم كما سافصله فى موضع آخر ، وانضم إليهم صديقى القديم المرحوم الأستاذ عزيز منسى المحامى ، ولم أتمكن من مصاحبتهم لأننى فى نفس اليوم الذى أذيع فيه خبر الإفراج عن معتقلي مالطة كنت فى مزارعى بفاقوس راكبا جواداً فجمعت بى وطرحنى أرضاً فأصبت بكسر فى عظام يدي اليمنى . على أننى سافرت بعد إخوانى فى شهر مايو سنة ١٩١٩ ومعى المحاضر والتقارير عن الفظائع التى ارتكبها الإنجليز فى الجزيرة وغيرها ، وأوراق أخرى كلفت حملها إلى الوفد . وبعد وصولى إلى باريس بساعة واحدة حضر سعد باشا إلى المنزل الذى سكنه للتسليم علينا ودعائى وزوجتى لتناول العشاء عنده فى يوم اتفقنا عليه .

ماكدت أصل باريس حتى وجدت الجو ملبدًا بالغيوم ، وديب الشقاق قد دب بين إخواننا الذين تغربوا للدفاع عن قضية الوطن الكبرى . فحزنت أعق الحزن لعدم استطاعتنا التحرر حتى فى مثل هذه المواقف الخطيرة من أكبر عيب فىنا وهو أن يجر اختلافنا فى رأى إلى خصام شخصى بل إلى عداوة . فكنت أسمع من هذا الفريق طعوننا جارحة فى أشخاص الفريق الآخر ، بل تهمة فظيعة غير مرتكزة على أساس كقولهم : إن فلان متصل بالسفارة البريطانية يبلغها كل ما يجرى فى الوفد ، وغير ذلك كثير .

عقب وصولى إلى باريس دعائى بعض الأصدقاء لتناول الغداء وبثوا إلى شكواهم الكثيرة من سعد باشا ومعاملته لهم معاملة غير مقبولة . فوعدهم أن أتكلم مع الباشا فى ذلك وأن أجتهد فى إزالة ما بينهم من سوء تفاهم ، وبالفعل اغتنمت فرصة

وجودى فى منزل سعد باشا للعشاء فى اليوم التالى ، تلبية لدعوته ، ولما انتقلنا إلى غرفة الجلوس لشرب القهوة قلت للرئيس : ما قولك فى رجل أكل أشهى الطعام الذى قدمته له ولا يستحى من أن يشكره عليه بأن يوجه إليك نقداً وعتباً ؟ فقال : ولم هذا ؟ أجبت : لأننى سمعت شكوى من بعض أصدقائنا داتنى على أن هناك عدم انسجام بل سوء تفاهم إن لم تتداركوه بحكمته من الآن سيفضى إلى انشقاق فيشمت فينا العدو ويحزن الصديق ، وإنى وإن كنت أعتقد أن معاليك است المتجنى على أولئك الشاكين إلا أننى أقول لك بصراحتى التى تعرفها : إن أكثر اللوم سيقع عليك لأنك الرئيس والزعيم ، ويجب أن ينسج صدرك لهفات من معك (وعلى البحر أن يسمع الترع) كما يقولون . وبعد مناقشة قصيرة ودية قال لى : حسن يا فلان سأعمل برأيك . وفى صباح اليوم التالى لما اجتمع الوفد قام سعد باشا وقال : يا إخوانى إذا كنت قد أسأت إلى بعضكم من غير قصد فإنى أعتذر إليكم وأمد لكم يدي لتتصافى وتتصافح . فسر إخواننا سروراً عظيماً بهذا الكلام وعرفوا أنه نتيجة لمسعى لدى الباشا فشكرونى .

إلا أن الخلاف ما لبث أن تجدد فعملت ما فى طاقتى لإعادة الصفاء وحسن التفاهم . ولا أدعى أننى نجحت كما كنت أود إلا أننى وقفت قبيل مغادرتى باريس بعض التوفيق إذ استطعت أن أزيل الجفاء الذى نشب بين سعد باشا وعلى شعراوى باشا . فدعوت جميع أعضاء الوفد إلى مأدبة غداء فى مطعم « مارجيرى » الشهير وبعد مجهود كبير قبل سعد وشعراوى دعوتى وكان محل « مارجيرى » قد خصص لنا دوراً كاملاً فساعد ذلك على رفع الكلفة وإيجاد جو مرح وصفاء . وبعد أن شربنا القهوة قام عتاب طويل بين الصديقين اشتد فيه الجدل وارتفعت الأصوات وانتهى الأمر بالتفاهم وعودة المياه إلى مجاريها فشكرت لله سبحانه وتعالى هذه النتيجة الموقفة ولسكنها للأسف لم تدم طويلاً .



## ١٤- حادث مؤسف آخر من حوادث الشقاق

في أواخر شهر يوليو سنة ١٩١٩ أقيمت حفلة شاي سياسية في فندق «كلاريدج» بباريس تكريماً للوفد حضرها جم غفير من رجال السياسة والصحافة والأدب الفرنسيين وأقيمت فيها خطبة حماسية كان أوقعها في نفس الحاضرين خطبة سعد باشا التي ألقاها بالفرنسية بصوت مؤثر وعبارات جميلة دوت لها قاعة الاحتفال دويًا هائلاً . فلما عدت إلى منزلي وجدت تلغرافاً من المرحوم محمود بك أبو النصر يطلب مني فيه ملحقاً أن أقابله حالاً في فندق «الكنتننتال» بباريس لأمر خطير . وكان سيرح بباريس إلى مرسيلى في عشية ذلك اليوم . فلما التقينا أخبرني أن الوفد قرر فصله هو وإسماعيل صدق باشا من غير محاكمة ومن غير سماع أقوالهما ، وأنه لم يعلم بهذا القرار إلا اليوم وهو يطلب وساطتي لدى سعد باشا . وإذا كان الوفد لا يريد أن يعمل معه فهو مستعد لتقديم استقالته فوراً . وألح عليّ كثيراً مبدياً تخوفه من عاقبة قرار الوفد وما سيحلبه عليه من إساءة وامتهان حين يصل إلى مصر . فوعده بأنني سأبذل أقصى مجهود مسيطاع وأبرق له بالنتيجة في مرسيلى .

عدت إلى منزلي حيث كنت أقيم مع صديقي عبد العزيز فهمي وقصصت عليه ماجرى بيني وبين محمود أبو النصر بك وسألته عن أسباب فصله من الوفد ؟ وكيف أنه لم يخبرني هو بهذا القرار ؟ فقال لي عبد العزيز : إن هذا القرار قد أثار احتجاجي بل أمرضني كما ترى ، وليس في نظري من الأسباب ما يبرره . وعلى كل حال فاذهب إلى سعد باشا وتكلم معه لعلك تستطيع إقناعه وتفوز منه بنتيجة حسنة عجزت أنا عن بلوغها فاعتكفت . وعقب تناولنا العشاء قصدت توأ إلى منزل الباشا ، وبعد أن هنأته بخطبته الجميلة المؤثرة كلمته في الشأن الذي كنت حاضراً إليه من أجله فقلت : حقيقة لا أفهم كيف ، أنه وهو القاضي الذي اشتهر بالعدل والذي كان لا يرضى أن

يحكم على شخص في مخالفة بسيطة قبل سماع دفاعه ، يسمح بالحكم على رجلين من زملائه بالموت الأدبي من غير أن توجه إليهما تهمة معينة ولا تعطى لهما فرصة لدفعها عنهما . فأجابني الباشا : إن قانون الوفد يجيز فصل أى عضو ترى الهيئة أنه لم يعد يمكنها العمل معه من غير إبداء الأسباب أو توجيه تهمة معينة . قلت : ولكن هذا كثير ، وأنا واثق أن ضميرك الحى لا يرتاح إليه كل الارتياح ، فإذا كان أصبح من العسير العمل مع هذين الرجلين فلماذا لا يكافان بالاستقالة ؟ إن محمود بك أبو النصر مستعد لتقديمها فوراً . قال الباشا : قد تكلمنا فى ذلك ولكن قيل أنهما قد يعودان إلى مصر ويتقوّلان على الوفد بما يسىء سمعته ، فكان ردى : أن الوفد أكرم على الأمة من أن تنال منه مثل تلك التقلولات . وبعد أخذ ورد قبل سعد أن يستبدل بقرار الوفد تقديم استقالة العضوين ، وما كاد الباشا يقول ذلك حتى دخل علينا اثنان من أعضاء الوفد وهما المغفور له محمد محمود باشا وصديقى أحمد لطفى السيد باشا فأخبرهما سعد بما انتهت إليه مناقشتنا الطويلة ، فعارضوا معارضة قوية محتدين ، فقلت لسعد باشا : لقد عملت الواجب يا باشا وأنا لا أريد أن يكون مسعاً سبباً لإحداث شقاق بينك وبين صديقينا الكريمين ، فليتحمل كل مسؤولياته أمام ضميره وأمام التاريخ . وانصرفت مكتئباً .

ولما وصل محمود بك أبو النصر الى مرسيليا أرسل الى الكتاب التالى :

مرسيليا فى ٣ أغسطس سنة ١٩١٩

أخى يوسف بك

أنا فى انتظار كلمة منك أفق بها على خبيثة الأمر فى محاولون من المكابد إرضاء لأهوائهم ، وفى اعتقادى أنهم إذا لم يعودوا إلى صوابهم كانوا البادئين بالشر وكان لى هنالك ألف عذر ؛ وهنالك يرون ذلك الكيد مردوداً إلى نحورهم « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى يحزننى كل الحزن أن يكون مبلغ ما يدفع به

عنى صديقى عبد العزيز تلك الظلامة وأنا غائب أن يعلنهم أنه ليس من رأيهم لآنى أعرف أن لديه من الوسائل ما يلزمهم طريق الرشاد ولا أزيد على هذا ، وإنى أنتظر هنا إذن السفر راجياً ألا يجيئ .

والسلام والتحية والإكرام والاحترام من الحب الصادق

محمود أبو النصر

حاشية :

أطيب تشكراتى سلفاً . سيدي أضحكنى جداً ما بلغنى هنا من أن سعاداً وشيعته تنقم منى أنى كنت أكتب صدق باشا وهو فى « فيشى » بما يجرى فى الوفد وأن هذا يعتبر إنشاء للسر لأن الرقيب الفرنساوى يقرأ الجوابات ؟ انتهى

\* \* \*

وإذ بلغ الإسكندرية كتب إلى منها بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٩١٩ الكتاب المطول الآتى أثبتته كما هو للحقيقة والتاريخ :

أخى يوسف بك .

ترددت زمناً فى الكتابة إليك ثم رأيت أن أفعل ولو ثقلت عليك . لا أريد أن أصدعك بذكر ما جرى وما سيجرى ، ولكننى فقط أسألك باسم الفضيلة وبحرمة الإخاء الذى لأساس له بيننا غير الصدق والإخلاص ، أسألك إذا هان على أبا وصدق باشا أن نرى عوامل الأضعاف تستحكم فى ذلك الصدر الضيق صدر صاحب المعالى رئيس الوفد ، وفى تلك النفس الضئيلة نفس صاحب السعادة المدير ، وفى ذلك الهيكل هيكल الشؤم والنحس سى لطفى بك خليفه أرسطو المحترم ، أن نرى عوامل الشر تستحكم فيهم فتدفعهم إلى تدبير ذلك الكيد لنا واستهواء الباقين من ذوى الأنفس الضعيفة والذم الطاهرة إلى موافقتهم على إستباحة شرفنا وكرامتنا فى غيبتنا بما لا أظن أن تصبو إليه نفس أخرى مهما انحطت ... إذا هان علينا أن نرى ذلك من مثل

سعد باشا وأنت تعلم ما في نفسه من جهنما ، فهل يهون أن نرى ذلك الصديق الحميم والرجل العظيم « عبد العزيز بك فهمى » يسجل على أخويه ما سجله أولئك ويرمينا معهم ظلما وعدوانا بأننا حدنا فجأة عن الطريق المرسوم إلى تحقيق آمال الأمة وقمنا بعمل على غير ما يقضى به التوكيل .

فلهذه الأسباب ولعدم الثقة بهذين العضوين قررنا بإجماع الآراء فصلهما من الوفد لانشقاقهما عليه .

حصل ذلك بجلسة ٢٤ يوليه ونحن معك « بفيشى » وفي الحال أرسل جواب من معالى الرئيس إلى لجنة الوفد بمصر مرفقا بمحضر الجلسة وطلب من اللجنة أن تعلنه في مصر ثم أوفدوا « بدر بك » مزوداً بتعاليم شتى أهمها أن الوفد زداد آماله وأعماله قوة يوما عن يوم ، وأن الرجاء قوى جداً جداً ، وأن أعضاءه لا يعودون إلا إذا نالت مصر استقلالها التام ، وأن هذا الاستقلال التام متصل أخباره قريباً جداً سيما وأن الوفد وكل محامياً لعدم الموافقة على الحماية في أمريكا ، وهذا المحامى متبرع بعمله ( جواب سعد باشا ) مع أنه يأخذ أتعابا في اللجنة عادة خمسين ألف جنيه ( ٥٠٠٠٠ جنيه ) هذا هو ما نشرته الصحف التى خصص لها هنا مبلغ ١٥٠٠ جنيه للدفاع عن الوفد وترويج أخباره .

وصلت أنا وصدق باشا إلى مصر ولا علم لنا بشيء من ذلك قط وقد اتفقنا على ألا نعمل عملا ما إلا بعد تعرف الحقيقة والوقوف على مبلغ كيد صاحب المعالي وعصبته ، ولذلك أمسكنا عن إعطاء الجرائد أى خبر كان وحادثنا بما لا يمس كرامة الوفد ، ثم لما رأينا التفرير بالأمة والتشهير بنا سياً أخذ شكلا جديا ، هممنا نعمل فأدركنا رجال عقلاء من اللجنة ومن غير اللجنة وطلبوا إلينا بجرمة الوطن وبحق الإنسانية أن نوسع صدورنا وأن ننتظر ريثما يراجعون الوفد فى خطته تلغرافيا . كان هذا يوم تاريخه فلم يسعنا إلا قبول ذلك الرجاء ، وهانحن منتظرون حتى نرى نتيجة مساعى اللجنة هنا فى تلافى

هذا الخطر ، والعقلاء في دهشة كبرى من سقوط معالى الرئيس ومن معه فى هذه الوهدة  
ولكننا مع كل هذا فى حيرة من أمرنا لأننا مع مزيد الأسف لانستطيع إلا كشف  
الستار عن كل ما هنالك ، وتبيان أن هذا التفجير بالأمة جنائية كبرى ومضيعة لكل  
ما كانت ترجوه من الفوائد ، وللضرورة أحكام . ولا أظن أن علينا لوما إذا لم يعد  
أولئك الجماعة إلى صوابهم . ما كنت أريد أن أسترسل فى الكتابة إليك خصوصاً  
وانى أعتقد أن سعد باشا يباهى جلساءه بأن مكيدته قد نجحت وأنه قد نال منا  
مأربه بعد أن وقعنا فى جريمة ( ليزماجستى ) فسيكبر عليه أن يرجع عن خطيته  
اغتراراً بما يكتبه إليه بعض أعوانه الخدوعين بمصر ، فليكن ذلك . ولكن الذى  
لا يهون هو أن نرى حضرة عبد العزيز بك يقضى على رجلين مثلى ومثل صدق  
باشا ذلك القضاء ظلماً وعدواناً ولا أزيد على ذلك الآن ، والسلام ختام .

محمود أبو النصر

ملحوظة :

كتب بهامش الخطاب ما يأتى :

( ها أنا صابر على الأذى حتى أراك قريباً )

ويرى من هذا الكتاب أنه كتب تحت تأثير المرحوم محمود بك الشديد مما  
سمعه وعلمه عندما عاد إلى مصر . وهذا التأثر قد أملى عليه عبارات قاسية ضد بعض  
زملائه السابقين ، وأحكاماً غير عادلة على سعد . وعبد العزيز . ولطفى . ومحمد محمود .  
والأسف العظيم لم أستطع وأنا فى باريس سنة ١٩١٩ أن أحول الوفد عن قراره .  
ثم عدت إلى باريس سنة ١٩٢٠ وكان المرحوم محمود بك أبو النصر لا يزال  
يجاهد بكل قواه للوصول إلى تعديل حكم الوفد ضده . وكان الوفد قد عدله بالنسبة

إلى إسماعيل صدق باشا . فأرسل إلى محمود بك وأنا في باريس التلغراف الآتي تعريه  
مؤرخاً ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ .

الاسكندرية في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ .

نحاس بك :

أكل إليك وإلى لطف بك تسوية مسألتى الشخصية بأن توضحا ما في التهمة  
الموجهة إليّ من ظلم بين إذ أن وطنيتي تحول دون الدفاع عن نفسي بالوسائل العلنية .  
أبو النصر

وكان قد سبق تلغرافه هذا كتاب منه مؤرخ في ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٠  
هذا نصه :

عزيزي يوسف بك

أرى كل عذر دون تقصيري في مكاتبتك فلا ضرورة لانتحال أعذار .

يشهد الله أني هممت بالكتابة إليك غير مرة من يوم ألقى إليّ كتابكم  
الكريم ، وكنت كلما تناوت القلم جف مداده تارة واستعصى عليّ من كثرة  
ما يفتابني من الخواطر المضطربة وما قاسيت من المتاعب والآلام طول هذا العام  
بفضل ما كاده لي بعض الإخوان الكرام من رجال الوفد ، وتارة يفيض على الطرس  
بدمعه المذلل فيوشيه ولكن بأحرف من نار .

أذكر أنني أخذت أناجيك في إحدى هذه الرسائل ، فكتبت وكأنما كنت  
أناجى نفسي . فلم أنته من الجواب إلا بعد أن بلغت صفحاته عشرأ أودعتها كثيرا  
مما يتردد بين جوانحي ، وما هو إلا أن أعدت نظري إليها حتى مزقتها لأني رأيت  
أولا ألا أظهر بالشكاية الآن لغير الله ، ورأيت ثانيا ألا أثقل عليك في ساعات راحتك  
وأوقات سرورك .

كان هذا عدة مرات كنت أمزق فيها رسالتى عقب الفراغ منها وأقعد

ما كنا أنتظر وقتاً أنسب فلا أجده لكثرة ما يعتزني من الانفعالات كلما تذكرت  
أمر ذلك الكيد العظيم وتلك التهم الشنعاء التي وجهت إليّ في وطنيتي وفي أخص  
شيء من مزايا الوجود لدىّ جزاءً وفاقاً لوشاية كاذبة ضاق عنها صدر معالي الرئيس  
سأحه الله .

هذا ياسيدي هو كما ترى ما نالتني من حجة سعد باشا وصداقة عبد العزيز بك  
لقد حاول سعد باشا قتلي غدرًا بما دبره في غفلتي لغير ذنب جنيته سوى الوشاية  
ولكن والحمد لله لم أمت، وأرجو ألا أموت قبل أن أناقشه الحساب مهما كبر وتعالى .  
ومن الحزن أن يسترسل معاليه في الكيد لأخيه ولم يكفه ما لقيت ، وكنت أظن أن ثورة  
غضبه قد هدأت وأنه عاد فرأى أنه غدر بي غدرًا كبيراً . نعم كنت أظن أنه بعد أن  
نال مني ما نال لاتعوته فضيلة الرجوع إلى الحق بالنسبة إليّ كما فعل مع غيبي ، ولكن  
الظاهر أنه يريد أن يؤبد حكمه عليّ وحدي ، وأن يؤبد مارميت به في وطنيتي وشرفي  
من فظائع التهم التي أذاعها بعض أعوانه في مصر . فهل يعلم الأستاذ ماجري ؟ جرى  
أنه عقب ورود كتابك الكريم إليّ ورد من معاليه جواب إلى زميلي المحكوم عليه  
معى حكماً واحداً بالطرد من دائرة الوطنية أعلنه فيه أن سوء التفاهم بينهما قد زال ، وأنه  
قد عاد إلى حظيرة رضاه ، ويرجوه أن يمد اللجنة المركزية بسديد رأيه وقد كتب إلى  
اللجنة بهذا المعنى .

أذاع زميلي المذكور هو ومن حوله هذا الخبر في طول البلاد وعرضها فدفع عن  
نفسه بذلك كثيراً من التهم والشبهات ، أما أنا فبقيت وحدي ذلك الرجل الخائن  
فاللهم صبراً . بجانب سعد باشا صديق لصدق باشا عمل لإنصافه وتحقيف آلامه  
إن كان لديه آلام .

أما أنا فلي الله ولي الصديق القديم صديقك الحميم الأستاذ عبد العزيز بك ولعلك  
تعرف ما كان منه قبل وبعد استباحة دمي بما كان من معالي الرئيس . فإذا لم يكن  
لي صديق كالذي عمل لصدق باشا فلي الله ، ولي الماضي ، ولي المستقبل إن شاء الله ...

— ٣٩ —

إن كان لهم صالح في التمداد معى على الإساءة والأذى جزاء اتصالى بهم واستسلاى  
إليهم فانى راض وصابر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

عزيزى :

مثلك تكفيه الإشارة ولذلك لا أريد أن أطيل عليك الحديث أكثر من  
هذا ولا أن أكلفك احتمال المشاق في بذل النصيح إلى سعد باشا أن يعيد النظر في  
أمره معى فإن هنالك ولا شك ما هو أهم من ذلك .

حالت ظروف وطوارىء دون سفرى هذا العام فأقيمت رحلى بشعر الإسكندرية  
واتخذتها لى مصيفا ، ومن حظى أنى كثيراً ما أرى الأستاذ « منسى » كما أنى أرى  
الوالدة حفظها الله « بالكازينو » أحيانا . الناس هنا فى حيرة من غموض ما يرد من  
الرسائل البرقية ولكنهم ينتظرون القادمين من أعضاء الوفد ليزفوا إليهم البشرى  
بالاستقلال التام . حقق الله الآمال . أرجو أن تكون أنت وعائلتك ممتعا بالصحة  
والعافية وأن تكون هذه السياحة قد ألستكم ثوبا من الصحة لا يبل .

سلامى واحترامى إليك وإلى عائلتك الكريمة . أرانا الله وجهكم فى خير . آمين

إمضاء

محمود أبو النصر

ملحق بذيل الخطاب السابق بخط محمود بك أبو النصر :

« أمليت هذا على كاتبى الخاص وأنا فى سريرى لانحراف ألم بى عقب عودتى  
إلى مصر فلا تؤاخذنى ودم للمخلص »

محمود أبو النصر

انتهى الخطاب وإن عبارته الثائرة المضطربة تشهد بوطنية الغفور له محمود  
أبو النصر ، وتم عن بالغ ألمه إذ رأى جهاده الطويل فى سبيل القضية المصرية قد انتهى  
إلى هذه النتيجة المحزنة التى لا أتردد فى القول أنها ظالمة .



أثبتنا كل ما تقدم وفي النفس ألم ممض ، إذ يرى أن ثورة الأنفس قد مجتج بالقلم واللسان إلى مثل ما انزلت إليه عبارات تلك الرسالة الشديدة التي أعتقد أنها قد جاوزت ما تقضى به الخلافات في المسائل العامة حتى في قرارة نفس كاتبها ، وهذا الاندفاع لا تنفرد به مصر دون غيرها ، فإنما نراه بل نرى أكثر منه عندما تشجر خلافات سياسية في مختلف البلاد العريقة في الديمقراطية . على أنه إذا كانت الظروف لم تسمح بأن يعود صديقي محمود أبو النصر إلى حظيرة الوفد فقد تبوأ مكانه فيه نجله الذي آتمنى له التوفيق في خدمة البلاد .

بقيت مسألة محمود بك حيث كانت . وبعد مضي بضعة أشهر أخرى اتسع الخلاف بين أعضاء الوفد فخرج منه بعض الأشخاص البارزين ومنهم عبدالعزيز فهمي وذلك على أثر تلغراف ( نبتت ) المشهور .

أما إسماعيل صدقي باشا فإنه لم يكلفني بأي مسعى إذ كان قد غادر فرنسا قبل محمود بك أبو النصر سنة ١٩١٩ فلم أعلم بقرار فصله من الوفد إلا وهو في مصر ، فلما عدت إليها من فرنسا أرسل إلى كتاباً بالفرنسية هذه ترجمته الحرفية .  
الرمل في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

إلى حضرة يوسف نحاس بك بميدان الإسماعيلية بمصر .

صديقي العزيز .. اسمح لي بأن أهنيك بسلامة العودة وأن أسألك عن صحة مدام نحاس بك ، وإنني آسف لأن إقامتي في رمل الإسكندرية التي سنستمر زمناً آخر مانعتني من أن أراك لنستأنف اتصالاً كنت أفدر قيمته تقديراً متزايداً . على أنني أرجو ألا يطول غيابي عن العاصمة فهل لي أن أعتمد على الاحتفاظ بمنزلتني عندكم حتى بعد قرار «الحرم» الذي وقع على ؟ هذا ما أطمح إليهم من جهتي إذ أنكم وقد رأيتموني أعمل أنعشم ألا أكون قد ظهرت لكم بمظهر الخائن لقضية بلاده واقبلوا .. إلخ .

الإمضاء : صدقي

ويظهر أن وساطات استخدمت لإبطال قرار « الحرم » الذى يذكره صدق باشا وأنها قد نجحت . فقد جاء فى كتاب المرحوم محمود بك أبو النصر المرسل إلى فى ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ المذكور آنفاً العبارة الآتية : ورد من معاليه — أى سعد باشا — جواب إلى زميلى المحكوم عليه معنى حكماً واحداً بالطرد من دائرة الوطنية أعلنه فيه أن سوء التفاهم بينهما قد زال وأنه قد عاد إلى حظيرة رضاه ويرجوه أن يمد اللجنة بسديد رأيه وأنه قد كتب إلى اللجنة بهذا المعنى . وقد أذاع زميلى المذكور هو ومن حوله هذا الخبر فى طول البلاد وعرضها ، فدفع عن نفسه بذلك كثيراً من التهم والشبهات — أما أنا فبقيت وحدى ذلك الرجل الخائن... فآللهم صبراً » .

على أن العلاقات لم تتحسن البتة بين الوفد وصدق باشا . وقد أتاحت له بتوليته رئاسة الوزارة فرصة ثار لنفسه فيها من الوفدين بشدة مستخدماً أقوى وسائل القمع وأعنفها حتى ضد من كانت تربطهم أواصر الصداقة الشخصية مثل المرحوم سينوت بك حنا .

## ١٥ — انصياع سعد للحجة ورجوعه إلى الحق

المشهور عن سعد باشا تشده فى الدفاع عن رأيه فلا يرجع عنه بسهولة ، وأنه كان يحتد أحياناً على معارضيه حتى يظن الجالسون فى الغرفة المجاورة أنها « خناقة » لا مناقشة .

لا أمارى أنه كان يتحمس بقوة لوجهة نظره ولكنى أعلم أكيداً أنه ما كان من المتعذر حمله على العدول عن رأيه إذا استخدم محدثه أسلوباً حسناً وهوادة . والشواهد التالية تعزز ما أقول :

١ — أخبرت وأنا فى « فيشى » فى شهر أغسطس من عام ١٩٢٠ أن سعد باشا سيحضر إليها من لندن للاستشفاء بمائها من مرض السكر ، وكلفت حجز

غرف له في فندق (ماجستيك) . قابلته بالحطة ليلا وصحبته إلى الفندق حيث كنت قد حجزت له والسيدة الجليلة أم المصريين التي كان حضورها منتظراً من باريس في اليوم التالي ، حجرة للنوم وغرفتين للاستقبال ، واتفقت على الأجر مع مدير الفندق على أن يدفع سعد باشا أجر مسكنه الخاص وأن يدفع الوفد أجر غرفتي الاستقبال . فلم يقر سعد باشا هذا الترتيب ، وألح في أن أعود إلى المدير ليكون أجر أحد الصالونين على حسابه الخاص .

في صباح اليوم التالي يمت الفندق فوجدت سعد باشا جالسا مع الرحوم أحمد يحيى باشا وطال الحديث بينهما فضاقت سعد باشا به ذرعا ، إذ كان الرحوم يحيى باشا يريد الوقوف على تفاصيل قرر الوفد أن تبقى سرية ، ثم انصرف الزائر فقال لي الباشا : هيا بنا نزوح النفس مشياً على الأقدام في متنزه « فيشى » فخرجنا واستطرد بنا الحديث إلى مسألة كانت تشغل الوفد آنئذ فسألني معاليه رأيي فأدليت بما عندى فلم يرقه وكان لا يزال تحت تأثير المناقشة التي طالت بينه وبين الرحوم أحمد يحيى باشا . فاحتد ورفع ذراعيه وصاح بصوت عال ( ياباك . يا ... ) فقطعت عليه الكلام قائلاً : أنى نزلت عن رأيي إذ لا أريد أن أتعبك وأهيج أعصابك . فسكت هنيهة ثم قال : « يابوسف هذا هو عيبي ، فلا تؤاخذني وأعد على تفصيل رأيك » فاستمع لييانى بكل أناة ثم قال : إنى أوافقك على رأيك وقد تبينت صوابه .

بعد ذلك أخذ يتحدث إلى عن حضرات أعضاء الوفد واحداً واحداً واصفاً كلاماً منهم وصفاً دقيقاً ذا كراً ماله وما عليه حتى وصل في كلامه إلى عبد العزيز فهمي فقاه بالكلمات الآتية التي استحضرها كآني سمعتها الآن ( أما عبد العزيز فإذا حال حائل بيني وبين الوفد فلا آمن عليه سواء ) وقد ذكرته بهذا الكلام في مناسبة سيأتى شرحها .

٢ — ذهبت ذات يوم إلى مقر الوفد في باريس كمادتني في كل صباح فقابلني عند الباب أحد أعضاء الوفد ودفع إليّ بورقة كانت بيده قائلاً ( هذا مشروع كتاب

نريد أن نرفعه الى الميسو (كليمانصو) ولكننا لا نستحسن لهجته فنرجو أن تعيد نظرك فيه وتنقحه كما ترى (ظننت أن هذه هي رغبة سعد باشا فأخذت في مراجعة الكتاب ، وقبيل أن أتمها جاءني رسول من عند سعد طالباً أن أسلمه النص الأصلي مضيفاً أن الباشا غضب لما علم أنني أنقحه قائلاً : أنا وافقت على ما كتب فهل يوسف نحاس يعرف الفرنسية أحسن من معرفتي لها ؟ سلمت الرسول الكتاب وانصرفت . وكنت وعبد العزيز على موعد مع سعد بعد ظهر ذلك اليوم لنذهب إلى « السربون » حيث دعانا الشيخ « يوسف الخازن » إلى سماع محاضرة سيلقيها في هذا المعهد بالفرنسية .

حضر سعد إلى المنزل الذي كنت أقطنه مع عبد العزيز ، فلما خرجنا وكان الجو جميلاً اقترح علينا الباشا أن نستمتع بالهواء والشمس بدل أن نجلس أنفسنا في قاعة مغلقة لسماع محاضرة « الخازن » . فوافقناه وأخذنا نسير على الأقدام في شارع (شانزليزيه) . وضع سعد ذراعه تحت إبطي وقال لي : أرجو ألا تكون قد تأثرت من استرداد الكتاب الذي طلبوا إليك تنقيحه في هذا الصباح ومن قولي إنك لا تعرف الفرنسية أكثر من معرفتي لها . وهذا طبعاً غير صحيح ، ولكنهم استفزونني بطلبهم تغيير نص كنت قد أقررت له ولو أنك جئتني أنت وقلت لي إن النص في حاجة إلى التغيير لرغبت إليك في تعديله . أجبت : ليست معرفة أحدنا للغة أجنبية أكثر من معرفة الآخر لها مما يدعو إلى المفارقة والمباهاة ، فإن أصغر مدرس فرنسي قد يتقن لغته أكثر مما تتقنها نحن . وإنما العبرة بالثقافة العامة . ولا شك يا باشا في أنك تفضلني وتفضل كثيرين جداً من هذه الناحية ، فما كان لي إذن أن أتأثر من ذلك الذي قلته ، وإنما كان تأثري من أن ترسل إلى الميسو « كليمانصو » كتاباً موقماً عليه منك فيه مأخذ من حيث العبارة ومن حيث البراهين التي استعملت في غير موضعها ، فإن لكل مقام مقالاً . فغمرني الباشا بكلمات الأسف لما وقع .

٣ — على أثر احتدام الحركة القومية واتساع نطاق المظاهرات في مصر عين

الجنرال « بلقن » خلفا للجنرال « مكسويل » فدعا جميع أعضاء الوفد لمقابلته في فندق « سفواى » الذى كان مقرراً للقيادة العليا البريطانية ، فلما ذهبوا إليه أدخلوا غرفة خالية من المقاعد ليس فيها سوى منضدة طويلة فاضطروا أن ينتظروا وقفا إلى أن تُفتح باب من خلف المنضدة دخل منه الجنرال « بلقن » مع أركان حربه وتلا عليهم إنذاره المشهور الذى حملهم فيه مسؤولية الشعب القائم فى البلاد ثم أضاف ( غير مسموح بالمناقشة ) وانصرف .

فى مساء ذلك اليوم قصدت بيت الأمة فوجدت جميع إخواننا من أعضاء الوفد مجتمعين بالغرفة الصغيرة التى بها مكتبة سعد باشا وهم فى اضطراب وكآبة . قصوا على ما جرى لهم . فثارت ثائرة نفسى وسألهم : ماذا علمتم تلقاء هذه المقابلة غير المؤدبة ؟ ألم تتهجوا عليها ؟ قالوا : كنا نريد أن نكتب كتاب احتجاج ولكن الباشا أبى وعارض أشد المعارضة فى ذلك وها هو فى مكتبه فأدخل عليه وتكلم معه فى هذا الشأن .

وجدت الباشا يكتب فلما رآنى سألنى إن كنت علمت بما حصل ؟ فقلت : نعم . وأبلغت أيضاً أنكم لم توافقوا على إرسال كتاب احتجاج على هذه المعاملة التى لا تطاق والمحاطبون رجال من علوية القوم منهم وزراء أقدمون وممثلون للأمة فى الجمعية التشريعية إلخ . فإن فرضنا أنه لا يجوز الاحتجاج على إنذار عسكري فى موضوعه ، فالاحتجاج ضرورى على الكيفية الشاذة فى تبليغه ، والذى أتوقعه مع الأسف أن لهذا الإنذار ما بعده ، وأخشى أن يكون الإجراء الذى سيتخذونه قاسياً . فلا أقل من أن ندافع عن كرامتنا ، وما زلت به حتى أقتنع وقال لى : قم واكتب خطاب الاحتجاج مع « دومانى » وقرأه على وعلى حضرات الأعضاء الموجودين . فكتبت بالفرنسية ذلك الكتاب المحفوظ ضمن أوراق الوفد وفيه احتجاج بشدة على ما عومل به رجال الوفد . فأقره سعد باشا ووقع عليه وأرسل مع مخصوص إلى مقر القيادة بفندق « سفواى » ليلاً . وقد كان ما توقعناه فقد قبض فى اليوم التالى على سعد وثلاثة من صحبه ونفوا إلى الماطة .

## ١٦ - سعد وعبد العزيز

لا يقدر مبلغ حزني لاختلاف هذين الصديقين القديمين إلا من عرف ما لهما في قلبي من مكانة . أما عبد العزيز فإنه الأخ الوفي الذي أظهر لي من الإخلاص والمؤازرة في أوقاتي العصيبة ما لم أر بعضه من أقرب قريب إليّ ، وأن صداقتنا التي ترجع إلى ما ينيف على نصف قرن قد هونت على كليتنا متاعب الحياة وضاعفت لنا طيباتها . فلما أراد الله أن يختاره إلى جواره كتبت في الأهرام بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥١ الكلمة التالية :

« اليوم يدفون مرشدي في الملمات ، ومنجدي في الأزمات ، الذي حمل عني الضيم وشاطرني الأفراح والأفراح خمسة وخمسين عاماً ، وهو يتركني الآن مريضاً مقعداً محروماً مؤاساته وعطفه ، فاللهم رحمة له ولي واللهم صبراً جليلاً . »

وأما سعد فكنت أحبه وأقدره وأعتقد أنه بالرغم مما يأخذونه عليه — والكمال لله وحده — كان رجلاً عظيماً مخلصاً في خدمة وطنه .

كان الود متيناً بين سعد وعبد العزيز كما سبق لي القول فما كان يخطر ببال أن تحمل محله هذه القطيعة التي أراد الله أن تبقى إلى أن انتقل سعد إلى جوار ربه .

على أن الحق يقتضي القول أن سعداً عاج غير مرة أن يزيل ما بينهما من الوحشة ولكن عبد العزيز أبى وأصر على الإبقاء والأرجح عندي أن الباعث على ذلك إنما هو ما قذف في روعه من أن سعداً أراد أن يبيح دمه بتلغراف ( نبقت ) الشهير الذي بعث به إلى مصر وعبد العزيز وبعض أعضاء الوفد على الباخرة في طريق عودتهم إليها .

## ١٧ - سبب الخلاف

أوجز فيما يلي سبب الخلاف المؤسف بين الرجلين :

لما دعى سعد وصحبه للقاء اللورد ( ملنر ) فى لندن عقب عودة بعثة ( ملنر ) من مصر رأى أعضاء الوفد أن يستعينوا بعدلى يكن باشا فى محادثاتهم مع الانكليز فأبرقوا إليه أن يوافيهم فتردد الرجل ، ولما ألحوا عليه سافر ولعب دور الوسيط الحاذق بين سعد وملنر معالجاً بكياسته وحسن سياسته كثيراً من النقاط الخلافية التى كان كل من الفريقين يتشبث فيها برأيه . ولكن وسوس أناس لسعد بأن عدلى كان يتخطاه فى بعض الأحيان ، وتوهم ظلماً أن هذا التخطى منبثق عن نية غير سليمة ، ويعلم الله أن الرجل برىء من هذه التهمة كما عرف سعد هذا فيما بعد . إلا أن هذا الظن حداً أحد مكاتبي الجرائد المصرية الذين كانوا فى باريس ( وهو الأستاذ أحمد نجيب مراسل جريدة الأخبار آنئذ تم التعق بوزارة المالية موظفاً فيما بعد ) أن يبرق إلى جريدته أن عدلى يسد الأبواب فى وجه الوفد ويعرقل المفاوضات . وبعد ذلك بأيام أرسل سكرتير الوفد مصطفى الفحام برقية إلى نفس الجريدة جاء فيها ( أن عدلى كارثة على الوفد ) . علم عدلى بالبرقيتين فخرج عن حلمه وخاطب أعضاء الوفد الذين كانوا مجتمعين بمكتب سعد بلهجة خالف بها مألوفه من الرزانة والهدوء .

نفى سعد باشا أن له علماً بالتلفرافين اللذين نشرتهما جريدة الأخبار إلا أن عبد العزيز سمع بعدئذ من أحدهم أن سعداً هو الذى أوعز بهما ، فكبر الأمر على نفسه وتوهم أن سعداً يضرب أنصاره ومعينيه من الخلف ، ولما كان هذا تصرفاً لا تتحمله ذمته وجد على صديقه القديم ، وزاد فى حنقه ما كان يتقوله على سعد . بعض الأعضاء ، وللناس عندنا براعة عجيبة فى تليفق التهم وإثارة الظنون .

لم يمض على هذه الحوادث وقت طويل حتى صدر التبليغ البريطانى الذى جاء

فيه أن الحكومة الانكليزية ترغب في المفاوضة مع حكومة مصرية موثوق بها .

تداول الوفد في هذا التبليغ واقترح أن يشكل عدلى باشا هذه الحكومة . فشىجر خلاف تأتى منه أن بعض الأعضاء قرروا العودة إلى مصر . قبل ذلك بمدة ليست باليسيرة كان عبد العزيز كتب إلى الرئيس أنه اعتزم الرجوع إلى مصر لأسباب عائلية وصحية ، وقطع فعلا تذكرة السفر على إحدى بواخر شركة (مساجرى ماريقيم) ذلك أن والده المغفور له حجازى بك عمر كان قد انتقل إلى جوار ربه وابنه فى الخارج فلم يستطع أن يقوم بواجبه نحو ذلك الراحل الكريم الأخلاق . ولم يرد عبد العزيز العودة إلى مصر حال وصول نبأ الوفاة إليه لأنه كان منهمكا فى وضع مشروع الدستور المصرى . فلما آتته ووجد أن الظروف تسمح له بالسفر استأذن وحجز محله على الباخرة ، ثم شجر الخلاف الذى أشرت إليه آنفا فقرر حضرات لطفى السيد ، ومحمد على علوبة ، والمغفور لهما محمد محمود ، وحمد الباسل ، أن يسافروا على نفس الباخرة ، وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٢١

قبيل موعد السفر ذهب عبد العزيز مع حضراتهم لتوديع سعد باشا ، فقال له عبدالعزيز : إن إخوانى عائدون إلى مصر يوالون فيها خدمة القضية القومية ويكونون تحت تصرفكم . فكان جواب الباشا : إننى فى غنى عن خدماتهم وإننى مطمئن . فأوجس عبد العزيز أن تكون وراء هذا القول الشديد نية مبيتة ، وحذر على ماهر وهو فى توديعهم بمحطة باريس من أن يرسل الباشا تلغرافاً مثل ما أرسل فى حق عدلى وقد صدق حدسه ، إذ وصلهم وهم على ظهر الباخرة لاسلكى من المرحوم جورج بك خياط يبلغهم نص التلغراف الذى بعث به سعد باشا إلى لجنة الوفد قائلاً ما معناه : (نبئت فكرة عند بعضهم ترمى إلى دخول المفاوضات بلا شرط ولا قيد فاحذروهم) .



كان هذا التنازع القطرة التي طفحت بها الكأس ، إذ دخل في رُوع عبد العزيز أن سعاداً كان يقصده بهذا التنازع فيمن يقصد فقاطعه وترك الوفد بلا رجعة .

قد يقول المتساحون في أمر الكرامة : على الذي يشغل بالسياسة أن يوسع صدره لمثل هذه المكاره فللسياسة أساليبها بل وأكاذيبها . فالسياسي يروض نفسه عليها . أمّا إن غضب لكل ما يصادفه منها من الهنات في عمله فهو لا يصلح لها . هذا حق . وأنا أعتقد أن عبد العزيز ، وهو أعظم قاض أنجبته مصر وأقوم الناس أخلاقاً ، لا يستطيع أن يحول طويلاً في ميدان السياسة ، فقد أثبتت الحوادث صدق هذا الاعتقاد فيه فكلماً اقتحم عبد العزيز ميدان السياسة — وما يفتحه إلا مكرهاً — وقع التنازع بين أخلاقه العالية وبين أساليبها وكان سبباً لخروجه منها على صورة غير مألوفة عند رجالها . وإذا كان عبد العزيز دقيق الشعور بكرامته يضعها فوق كل شيء فإنه يجعل تصرفاته منسجمة مع هذا الخلق الكريم ، مبنية على أدق مقتضيات الذمة والشرف بل يذهب في ذلك إلى حد المبالغة . من ذلك أنه أبى بقوة وعناد أن يقبض قرشاً واحداً من أموال الوفد طيلة إقامته في أوروبا ، فكانت نفقاته جميعاً من ماله الخاص القليل جداً آنئذ . إذ كان كل ما يملكه من نقد مبلغ ألفي جنيه استودعني إياه قبل السفر ، فلما عاد كان قد استنفده كله ! .

ذهب بعض أعضاء الوفد إلى لندن عام ١٩٢٠ وهو معهم لمفاوضة اللورد ( ملنر ) فجعل الوفد مبلغاً قدره ثمانية جنيهات مصروفاً يومياً لكل عضو ، وتقاضى الجميع هذا المبلغ طول مدة إقامتهم في لندن إلا عبد العزيز الذي رفض بإصرار ورضى أن يقيم في فندق صغير بجوار فندق ( كارلتون ) الفخم حيث نزل زملاؤه .

هذا هو الرجل وهذه هي أخلاقه وتصرفاته فليس كل أن يحكم عليه أو عليها بما عليه عليه وجدانه .

## ١٨ - رغبة سعد في إزالة الخلاف

عاد سعد باشا إلى مصر في أبريل سنة ١٩٢١ وقوبل فيها بما لم يقابل بأجمل منه أعظم الفاتحين . ففكر في لمّ شعث الوفد وإزالة أسباب الجفاء بينه وبين الأعضاء الذين انقطعوا عنه . فأراد أن يزور عبد العزيز في منزله بمصر الجديدة . قابلني المرحوم جورج بك خياط وكان عبد العزيز معي فأخبره أن سعد باشا سيزوره بمنزله ويحسن أن يعود إلى المنزل ليكون في استقباله ، ولكنه لم يفعل رغما من إلحاحي عليه . وبعد أن ترك له سعد باشا بطاقته اكتفى عبد العزيز بأن مر بي بيت الأمة وأودع فيه بطاقته أيضا ولم يقابل الباشا .

## ١٩ - رغبة سعد في مقابلي

بعد ذلك بزمان طويل وسعد آنئذ رئيس الحكومة لقيني المغفور له فتح الله باشا بركات وسألني عن سبب انقطاعي عن سعد باشا فأجبته أن ليس هناك أي مانع يمنعني سوى ضنى بوقت دولته . فقال : ولكنه يريد أن يراك فاطلب موعداً من السكرتير . اتصلت بالسكرتير تليفونيا ، وكان آنئذ على بك إسماعيل على ما أذكر ، فلم أتلّق منه رداً بتحديد موعد . ولما مضت أيام خاطبني فتح الله باشا مظهراً استغرابه لأنني لم أسع لمقابلة الرئيس . فقلت أنني سعت ولكنني مازلت منتظراً تحديد الموعد . استوضح فتح الله باشا السكرتير فكان رده : ( أنا لا أعرف يوسف نحاس ، ولذلك لم أعين له موعداً ) . أدّهش هذا الرد فتح الله باشا واتصل بي وأخبرني أن سعد باشا ينتظرني في بيت الأمة صباح اليوم الثاني لعيد الفطر . كان عند سعد باشا زائرون كثيرون فلما انصرفوا أمر بالأيّدخل علينا أحد ثم ابتدرني بكلمات قاسية قاتلالي : انني انقطعت عنه ونسيت ما بيننا من صداقة قديمة بل طعنت فيه بقلبي ولساني .

نزل على هذا الكلام نزول الصاعقة ولم أملك أن أجيبته في شيء من القوة :  
 (يا باشا إني كنت ملازماً منزلك ليلاً ونهاراً أيام كان الرصاص يدوى في أركان  
 هذا المنزل والخطر يهدد كل من يرتاده . أما الآن وقد بلغت الذروة فقد أفسحت المجال  
 لغيري من أصدقاء السراء . وأما عن طعنى في دولتك في الصحف وفي المجالس فمن  
 السهل عليك تحقيق الأول ومجموعة كل الصحف تحت أمرك . فمر بمراجعتها  
 فإن عثرت على سطر واحد يشتم منه رائحة أى نقد أو تجريح فأنا إذن معترف  
 بالطعون الشفوية التي يتعذر تحقيقها . أما إذا وجدت عدة مقالات مدحتك  
 فيها بما أعتقده حقاً فلعلك تقتنع بأن هذه التهم دس وضع . فأنا يا باشا لست ممن  
 يطبقون أن تمس كرامته ووفاءه بمثل ذلك ، فاسمح لى بالانصراف على أن أعود إليك  
 بعد إذ تكون قد أتممت تحقيقك ) . وخرجت متأثراً وحزيناً .... غفر الله  
 للدسائين المشائين بنميم فما أكثرهم عندنا وما أبرعهم في تلفيق التهم !! فمن  
 من عظمائنا نجا من شرهم ؟ ألم يكن سعد نفسه هدفاً لها ؟ فكملت له التهم جزافاً  
 وأوضعتها أنه استحل لنفسه أموال الوفد !

كنت على أهبة السفر إلى الخارج فررت على بيت سعد باشا مبكراً وتركته له  
 بطاقتي للاستئذان في السفر . ثم يمت منزل فتح الله باشا الجاور لبيت سعد  
 لنفس هذا الغرض فلما رآنى وكان متأهباً للخروج أَدفع البطاقة إلى خادمه نادانى  
 وقال : لعلك أكتفيت بالبطاقة عند سعد باشا أيضاً ؟ أجبت : نعم لأن الساعة  
 مبكرة لا تسمح بإزعاجه . فركب معى سيارتى وذهبنا إلى بيت الأمة حيث كان  
 الرئيس جالساً في غرفة مكتبه . فتركنى معه فتح الله باشا وانصرف . فقال لى سعد  
 باشا وهو هاش : تحققت أنهم ظلموك فيما نسبوه إليك وأصارحك الالب أنى  
 ما صدقهم قط ولسكنى متأثر منك بسبب صديقك عبد العزيز فهمى الذى يطعن  
 فى بأقذع الألفاظ . وذكر لى بعضها فأنكرت سماعى لها فقال : هل تقسم بشرفك  
 إنك لم تسدعه يتفوه بها ؟ قلت : ما قيمة هذا الطعن في نفوس عارفيك ؟ أوليس من

سبيل الى النصف والتصافح ؟ أجاب : هذا ما أرجوه وانى مستعد أن أضرب صفحاً عن كل ما مضى . فأكدت لدوائه أنى بمجرد عودتى من أوروبا سأبذل قصارى جهدى لإنجاح أعظم أمنية أتمنى تحقيقها .

على أن عبدالعزيز عاد إلى بيت الأمة قبل ذلك لما اعتقل الإنكليز سعداً للمرة الثانية مع بعض أنصاره وأبعدوهم إلى جزيرة « سيشيل » فارتجت البلاد لتجدد هذا الاعتداء الفظيع على الزعيم ، وكان فى مقدمة الذين هرعوا إلى بيت الأمة عبد العزيز فهمى الذى قابل أم المصريين وأبدى لعصمتها حزنه والعبوات تكاد تنفخه . ولكن بعض الشبان المتحمسين استثاروه بكلمات نابية وصاح أحدهم فى وجهه ( إلا من تاب ) فكبر الأمر عليه وانصرف ، ولم يعد إلى بيت الأمة بعدها أبداً .

## ٢٠ - متابعة السعى لإزالة الخلاف

تعاقت الأيام وتوالى الحوادث إلى أن أصبح سعد باشا رئيساً لمجلس النواب ، فدعانى ذات يوم إلى بيته فذهبت إليه ظهراً وصعدت إلى الطابق الأعلى حيث كان الباشا معتكفا بسبب وعكة بسيطة ، فلما جلست إليه أخذ يحدثنى عن عبد العزيز زهاء الساعتين موجهاً إليّ ثلاث عشرة مسألة كل واحدة منها أخطر من الأخرى . وأنا أصغى إليه ولم أنبس ببنت شفة . وكانت مرضته الألمانية تدخل عايناً من وقت إلى آخر حاملة كأساً صغيرة من الدواء يتعاطاه الباشا ، ثم يستأنف حديثه بلا توقف ولا تعب . وعندما انتهى من حديثه قال لى : أجب يا أستاذ على هذه الأشياء ، ما لى أراك ملتزماً الصمت ؟ ، قلت : انى عاجز عن الإجابة ولا أستطيع مجاراتك فى هذا المضمار وأنت رجل هائل فى منطقك وفى ذاكرتك . على أنه لم يعلق بذهنى مما سمعته من دولتكم الآن الا شىء واحد بقى راسخاً فى ذاكرتى هو ما قلته لى عام ١٩٢٠ حين التقينا بمدينة ( فيشى ) أعيده على مسامعك بنصه ( إذاحال حائل بينى وبين

الوفد فلا آمن عليه سوى عبد العزيز فهمي ) هذا كان حكمك على الرجل وأنت في حالة الرضا ، فهو الحكم العادل الذي لا تشوبه شائبة الغضب والانفعال فقال : طيب يا سيدى إني مستعد أن أنسى كل ما حصل من صديقتك ، وأن أمد له يدي . فأطريت كرم أخلاقه ووعدته بأن أهيم فرصة للمقابلة .

أسرعت الى عبد العزيز ولم أذكر له طبعاً ما وجهه إليه سعد من مآخذ وإنما أبلغته أن الباشا طلبني وأبدى لى رغبة فى مصافحتك ، فهل تبقى مصرأ على عنادك ؟ قال : لا . إني أقبل بسرور أن التقي به ولكن على شريطة أن تكون للمقابلة فى سراى آل عبد الرازق باشا . قلت : ما هذا ؟ وما دخل آل عبد الرازق فى شأن خاص بك وبسعد ؟ أتريد أن تكون زيارة الباشا لهم ككفارة عن قتل المغفور له صديقي وصديقتك حسن باشا عبد الرازق الذى آتهم الوفد بقتله ؟ لم لا تتقابلان فى بيتى مثلاً ؟ فرد على قائلاً : وهل تظن أنه يرضى أن يتم الصلح فى بيتك ؟ أجبتة : سأحاول فإن أبى لزمته الحجة .

قابلت سعد باشا وسألته : هل يسمح بأن تكون المقابلة عندى ؟ ، فرد على من فوره : بيتك بيتى ويشرفنى أن أدخله فى كل وقت ، وألقى فيه من تريد . وأقول والحزن ملء جوانحى . ان عبد العزيز امتنع لأن العزة تغلبت فيه على كل اعتبار آخر . وأضيف أن اقحامنا دائماً الخلاف فى رأى فى العلاقات الشخصية عيب يستغله خصومنا ضدنا أربح استغلال ، فتمى يتاح لنا يا ترى أن نتحلل منه وأن ننظر إلى مسائلنا القومية نظرة خالصة لوجه الوطن منزهة عن كل نزعة شخصية فتقوى شكيمتنا وتستقيم أحوالنا ؟ ؟

## الباب الثاني

عبد العزیز فہمی



## ٦ - عبد العزيز والسلطان حسين

أوردت آنفاً بعض الشواهد على إرباء عبد العزيز بكرامته أن تمس عن قرب أو بعد ، وله في سبيلها غضبات وانفعالات تخرجه أحياناً عن حلمه وأدبه الرائع ، ويحضرني شاهد آخر أثبتته هنا لإبراز هذا الخلق في الرجل على أكمل صورته .

شاءت السياسة البريطانية أثناء الحرب الماضية أن تجتمع الخديوى عباس حلمي وأن تبسط حمايتها على مصر وتجلس الأمير حسين كامل على العرش كسلطان . كان المغفور له حسين رشدي باشا رئيساً للحكومة وقائماً مقام الخديوى . فلما فاتحه الإنكليز بما كانوا ينتوون وقع الرجل في الربكة والخيرة ، واستدعى صديقيه سعداً وعبد العزيز لاستشارتهما فيما يعمل . . . دخل عبد العزيز على رشدي باشا ، وكان سعد باشا قد سبقه إليه فوجد رشدي يتكلم ببعض الإيهام فابتدره بصراحته الممهودة قائلاً : لعل الحادث الذي توميء إليه خاص بجمع الخديوى ؟ أجاب : نعم . وبم تشيران على ؟ فرد عبد العزيز من فوره : اذا أشكل على المرء أمر من الأمور وتردد في واجبه فليرجع الشأن إلى قواعد الأخلاق . وانصرف .

وقد تعددت مظاهر عدم ارتياح عبد العزيز لهذا الانقلاب إذ امتنع عن مقابلة السلطان الذي كانت تربطه به معرفة سابقة وكان محامياً عنه في بعض قضاياها . خشيت على صديقي عواقب هذه المقاطعة . وكانت الأحكام العرفية الإنكليزية تتصرف في حريات الناس بلا قواعد ولا ضوابط ، فما زالت به حتى أقنعتة بطلب المقابلة وكان السلطان آنئذ في قصر « رأس التين » فسافرنا معاً إلى الإسكندرية وقصدنا مكتب المغفور له سعيد باشا ذو الفقار كبير الأمراء . فلما علم أن زيارتنا لطلب عبد العزيز المشول بين يدي السلطان بدا الارتياح على وجهه وسألنا عن الفندق الذي نزلنا به ليتصل بنا تليفونياً في وقت الغداء . وكنا في نزل ( يونار ) وبينما نحن على المائدة تكلم سعيد باشا تليفونياً مخبراً أن عظمة السلطان ينتظرنا أنا وعبد العزيز للمشول



بين يديه في الساعة الثالثة بعد الظهر . أحبت بأننى لم أطلب المقابلة ولم أحضر معى من القاهرة اللباس الرسمى لها ، فقال لا بأس من حضورك مع عبد العزيز بملا بسكيا العادية لأن مولانا يعلم أنكما كل لا يجوز انفصامه .

كانت مقابلة أبدى فيها السلطان أرق مظاهر المجاملة والإكرام زهاء ساعة، فكان يتكلم بمرح وبغير كلفة في مختلف الشؤون وعبد العزيز جالس أمامه جلسة تأدب متناه مطرقاً محبباً الظهر مكتوف الذراعين حتى عجبت من احتمال البقاء على هذه الحالة طول زمن الزيارة . ومن الظريف أن عظمة السلطان كان كلما تطرق إلى حديث هام يقول « يمكننا أن نستمر في كلامنا وإن كان يوسف بك ... » ولا يزيد . تسكررت هذه العبارة مرتين وفي الثالثة قاطعه عبد العزيز قائلاً : يا مولاي إن يوسف بك وطنى أكثر منى . فعقب عظمته قائلاً : نعم ومنى كذلك . وهذه شهادة لى في الوطنية لها جليل قدرها لصدورها من سلطان البلاد !

كان السلطان يتوخى في هذه المقابلة إرضاء عبد العزيز باطراء مناقبه وصفاته الممتازة ، وفي الختام أراد عظمته أن يكمل تقديره له بمدح ظنه بنية طاهرة سليمة سيدخل أكبر السرور على نفس صديقى ، وكان عبد العزيز قد ترفع حديثاً استثنافياً في قضية النيابة ضد . ع . ب ، وكانت مرافعته من الإبداع بحيث نشرتها جريدة «الأهرام» حرقياً ، فقال السلطان : « إننى قرأت مرافعتك البديعة فأنت من أعظم المحامين ، وقد نجحت في تبرئة هذا المذنب » فما كاد عبد العزيز يسمع هذه الكلمات حتى انتفض واقفاً وأخذ يلوح بيديه ويصيح : لقد أنعبتني كثيراً يا مولاي .. لقد أنعبتني كثيراً . فشعرت كأن الأرض شقت لتبتلعنى وقلت : وحقك يا مولاي أن . ع . ب . برى . فوقف السلطان وردد بدوره : نعم إنه برى . وربت على كتف عبد العزيز وخرجنا من لدنه ، فأخذت أعنف صديقى على تهوره بهذا الشكل . فصاح بى : كيف يمكن أن أقبل من أى إنسان أن يتهمنى بأننى أترافع لأبرىء المذنبين وهذه وصمة كبرى

للمحامي الشريف . قلت : ولكن السلطان لم يكن يقصد المساس بك كمحام ، بل مدحك وتكريمك ، وإن كلماته بعيدة كل البعد عن نية الإساءة إليك ، فأجاب : أنا متأكد من ذلك ولكن أعصابي لم تستطع تحملها .

وجرى له مع عظمة السلطان حادث آخر من نفس هذا النوع .  
كان صديقي قبيل أن يتولى الدفاع عن « جورج فيليبس » في قضيته المعلومة وتابع التحقيقات التي كانت طويلة جداً بما هو معهود فيه من دقة ودقة حتى هجر منزله في مصر الجديدة ليبيت طول مدة التحقيق في مكتب المرحوم كامل حسين المحامي ، وكان عبد العزيز قد أشركه معه في الدفاع ، كما أشرك معه وهيب بك دوس . إلا أنه لسبب متعلق بالأخلاق لا أرى ذكره هنا تحلى عبد العزيز عن الدفاع وكان قد تناول مبلغ خمسمائة جنيه كمدام أنعاب اقتسمه مع زميله كامل حسين والأستاذ وهيب دوس ، فرد المبلغ بأكمله إلى « فيليبس » من ماله الخاص وضاع عليه ما كان قد دفعه لزميله .

في أثناء رحلة عظمة السلطان في الصعيد ومشول محامي بنى سويف بين يديه تلفظ عظمتيه بعبارة بشأن هذه القضية عدها عبد العزيز نقداً له ، فما كان منه إلا أنه كتب احتجاجاً شديد اللهجة ودفع به إلى المرحوم يحيى باشا إبراهيم رئيس محكمة الاستئناف ذاكراً فيه أن العلاقة الوحيدة التي تربطه بالحكومة هي عضويته في المجلس الحسبي الأعلى فهو يستقيل منه تلقاء ما وجهه إليه عظمة السلطان من نقد ، فعالج يحيى باشا عبثاً أن يحمله على العدول ، فلما أعيته الحيلة قال له « إن الحكومة هي التي عينتك فأنا غير مختص بتسليم هذه الاستقالة » . فما كان من عبد العزيز إلا أن كتب على ورقة الاستقالة شرحاً إلى رئيس الحكومة المرحوم رشدي باشا جاء فيه : أن رئيس محكمة الاستئناف أبي تسلم هذه الاستقالة فهو يحولها إلى دولته . ولم تهدأ ثورة نفسه إلا عندما نشرت الحكومة بلاغاً رسمياً قالت فيه : إن عبد العزيز فهمى المحامي فوق

كل مظنة أو تجريح فيما يتعلق بشؤون مهنته .. ولم تمض أيام معدودة على هذا الحادث حتى اختار الله المغفور له السلطان حسين إلى جواره .

## ٢ - علاقتي بالسلطان حسين

كان المغفور له السلطان حسين يعطف عليّ ، وقد أمرني أن أكثر من التوليد بين يديه ، فإذا تأخرت مرة جاءني من السراي أن مولانا قد حدد لي موعداً للمقابلة . كان السبب في عطف عظمته عليّ أنه عرف المرحوم والدي ، وكان يعده من خيرة المزارعين ويمضي معه أوقاتاً في التحدث عن شؤون الفلاحة ، وهذه الشؤون نفسها كانت مدار الكلام بيننا ، فتبينت شغف عظمته بإنجاح الزراعة في مصر ، وتحققت أن الرأي العام لم يخطئ إذ نعته ( بأبي الفلاح ) .

كان رحمه الله كثير التدخين وكما أشعل لفافة قدم لي أخرى وأمرني بالتدخين ، فما كان يسعني إلا الامتنال . وفي آخر مقابلة اعترت السلطان غيبوبة فذهلت وأسقط في يدي ولسكنها لم تدم أكثر من ثوان ثم أفاق . وانصرفت آسفاً وشاكراً لله حسن العقبي . رحمه الله رحمة واسعة ، فإنه كان متجملًا بصفات جليلة ، غيوراً على مصالح البلاد وكرماً بملوك العرب .

## ٣ - عبد العزيز والملك فؤاد

لم يسعدني الحظ بالتعرف إلى المغفور له الملك فؤاد قبل جلوسه على عرش مصر . ولما كنت بطبعي لا أميل إلى المظاهر الرسمية وآتجاشها استحياء قدر المستطاع لم أقدم طلباً للتوليد بين يدي جلالتيه إلى أن عين حسن نشأت باشا وكيلًا للديوان الملكي . عرفت نشأت عام ١٩١٩ إبان الحركة الوطنية الكبرى ، وكان مع علي ماهر

وحلمى عيسى وآخرين من زعماء الموظفين الذين قادوها وانصرفوا إليها بكل قواهم . فلما تبعت الوفد إلى باريس عقب إطلاق سراح المعتقلين في مالطة لقيني نشأت وطلب إلى ملحقاً أن أكتب له من باريس لاطلاعه على ما هو جارٍ في الوفد ودفع إلى بما يسميه الإفرنج (مفتاحاً) أعنى طريقة كتابية يمكن بها رسم كلام ظاهر ، مفهوم وفيه رمز سرى يمر به الرقيب فلا يلحظه .

استمرت علاقتى بنشأت علاقة صداقه متينة لما ألقىته في ذلك الشاب من أخلاق كريمة وصفات عقلية عالية يمتاز بها . وكنا نلتقى مساء كل يوم عقب خروجه من السراى في مقهى صغير كان يوجد بجانب فندق ( سميراميس ) ونتجاذب أطراف الحديث .

وكان نشأت يتغنى بمواهب الملك فؤاد تغنى العاشق بمعشوقه فبث في قلبى محبة جلالته ، وعندما أوعز إلى بطلب مقابلته بادرت بذلك . وكانت مقابلة استغرقت حوالى ساعة وثلاثة أرباع الساعة . تبسطنا أثناءها فى الحديث — والحديث ذو شجون — فكاشفنى الملك ، على الرغم من أنه لم تكن لى به معرفة سابقة كما أسلفت بأمور تتعلق بشخصه منها : أنه كان فعلايطمح فى أن يعين حاكماً على ألبانيا ، فإن لم يكن فعلى طرابلس الغرب . ولكنه الآن راغب عن أعباء هذه الوظيفة على حد قوله . ويقصد بالوظيفة العرش ، وإنها لكبيرة على نفسى ما يعتزموه الآن من إنشاء برلمان على على إرادته . فتجهمت حين ممعته يتفوه بهذه الكلمات ، فأدرك من فوره امتعاضى منها فبادر بتلطيف قوله بما يزيل عنى هذا الامتعاض .

كان المرحوم عبد الخالق ثروت باشا رئيسا للحكومة وقتئذ وفى سياق الحديث ذكر لى جلالته عن بعض أعضاء الوزارة أموراً لا أرى إثباتها هنا ، ثم قال : إن عبد العزيز فهمى متضامن مع أولئك القوم وقد انقطع عن زيارتى مع أننى أقدره وكنت أسمح له دائماً أن يبدى لى آراءه بصراحته المهدودة ، بل كان أحياناً ينتقد بعض ما أعمل

فأتقبل انتقاده بصدر رحب . وأنا أعلم أنك أعز صديق له فلملك تقنعه بخطئه في امتناعه عنى . قلت : إن عبد العزيز يكون سعيداً بالثول بين يدي جلالته . ذهبت مهرولا إلى عبد العزيز و بسطت له ما كان من أمر المقابلة للملكية ونقلت إليه الكلام الطيب الذى فاه به الملك عن شخصه وألححت عليه إلحاحا ليس بعده إلحاح فى أن يطلب مقابلة الملك فاحتج بأنه مريض وكان فعلا ملازماً فراشه لوعكة بسيطة . وضعنى عبد العزيز بتصرفه هذا فى أخرج المواقف ، ولما اجتمعت بنشأت أبلغنى أن الملك يرغب فى مقابلتى فصدعت بالأمر .

سألنى جلالته عما علمته مع عبد العزيز فأجبت أن الرجل مريض . فقال لى : سأرسل مندوباً للسؤال عن صحته . فرددت بأن مرضه بسيط لا يستوجب ذلك . فقال لى جلالته : لقد فهمت . وصرفنى من حضرته . ولا حاجة إلى القول إن هذا المركز الذى وضعنى فيه عبد العزيز كان مؤلماً لنفسى كل الإيلام ولا سيما أن تصرف الملك كان خليقاً بأن يقابل بالنزول على رغبته .

بعد ذلك بزمن عادت المياه إلى مجاريها بين الملك وصديقى و بقيت أنا متوهماً أنه غير مرضى عنى مستنتجاً ذلك من عدة أمور أذكر منها عدم تجديد تعيينى فى المجلس الاقتصادى الذى كنت عضواً به منذ تأسيسه ، وعدم السماح لى وللباقى أفراد أسرة المغفور له سايا باشا بالمقابلة لتقديم شكرنا على مجاملة جلالته لنا فى وفاة فقيدنا العزيز .

وأذكر منها أيضاً أن المرحوم نخلة المطيعى باشا وكان وزيراً للزراعة أمر إلى بأنّه عرض على الملك أسماء أعضاء اللجنة التى انتخبها لتنظيم مؤتمر القطن الدولى فى مصر ، فلما وقع نظر جلالته على اسمى قال لنخلة المطيعى : ألا تفضلون تعيين ألفريد بك شماس بدلا من يوسف نحاس ؟ فأجابه : يامولاي إن يوسف نحاس هو الذى يصلح . فسكت جلالته ولم يلح فى استبعاد اسمى . قلت لنخلة : إنك لا تعلم طبعاً أن الملك غير راض عنى . فلما سمع منى ذلك بدت عليه الحيرة والارتباك وقال : ربنا يستر !

كنت من أعضاء لجنة المعرض الذي أقامته الجمعية الزراعية عام ١٩٢٧ والذي نجح نجاحاً باهراً . وقد عملت مع بعض زملائي في اللجنة على إزالة سوء التفاهم الذي كان بين الملك والمغفور له الأمير كمال الدين حسين رئيس الجمعية الزراعية لكي يتفضل الملك بافتتاح المعرض فوقتنا وذهبنا جميعاً إلى السراي وعلى رأسنا الأمير لدعوة جلالاته لافتتاح المعرض فلبى طلبنا بكل ارتياح وبلطف متناه وأضاف أنه يأذن أيضاً فوق ذلك بأن تسمى « الجمعية الزراعية » « الجمعية الزراعية الملكية » وقد أزيلت هذه الزيارة ما كان بينهما من جفاء .

عقب انتهاء المعرض أخبرنا المغفور له الأمير كمال الدين حسين بأنه سيطلب لأعضاء لجنة المعرض رتباً وأوسمة . فلما خلوت بسموه التمت منه ألا يطلب لي أي شيء لسبب لا أستطيع إبداءه ، فظن الأمير أنني أخشى أن أعطى أقل مما استحق . فقلت : لا ليس هذا هو السبب . فأجابني : مادمت لا تريد أن تصارحنى به فأنا لأستمع منك كلاماً . فقابلت المغفور له توفيق نسيم باشا الذي كان رئيساً للديوان الملكي وكانت تربطني به أواصر الصداقة وأفضيت له بما دار بيني وبين الأمير كمال الدين ورجوت منه ألا أمنح شيئاً لأن الملك قد لا يرتاح إلى ذلك . فاذا منح إرضاء للأمير كمال الدين ، فهذا ما تأباه على كرامتي .

دهش توفيق نسيم وقال لي إنني بالتحقيق مخطيء فيما أظن . وطلب إلي أن أعود لمقابلته في اليوم التالي ريثما يفاتح الملك في الأمر ، فلما عدت قال لي : إنني سردت على جلالاته الأمور التي بذيت عليها استنتاجك لعدم الرضاء عنك فنفي جلالاته أن له أي دخل فيها . فاستبعاد اسمك من ضمن أعضاء المجلس الاقتصادي كان من عمل إسماعيل صدقي ، وعدم السماح لك ولأسرة المغفور له سابا باشا بالمقابلة لتقديم الشكر لم يكن لجلالاته به علم ، بل هو تصرف يعزى إلى سعيد ذو الفقار كبير الأمناء ، وما ذكره المطيع لك بشأن لجنة تنظيم المؤتمر فيه بعض التحريف لما جرى من حديث بين جلالة الملك وبينه ، ولم يكن المقصود به على كل حال الإساءة إليك .

ثم قال لي توفيق نسيم : إن الملك يأمر بك بطلب مقابلته . فلما مثلت بين يديه أكرم وفادتي إكراماً أزال ما كان عالماً بذهني ، فخرجت من لدنه شاكراً ، وإنني ما دمت حياً لا أنسى لهذا الملك مكرمة طوق بها جيدي ، ذلك أنني لما وقعت في ارتباك ماليّ أوشك أن يذهب بجميع ما أملك من جراء تورط في المضاربة ببورصة القطن المشئومة وكنت على أهبة السفر إلى الخارج لحضور أحد مؤتمرات القطن ألح عليّ عبد العزيز فهمي بطلب مقابلة الملك للاستئذان في السفر كما لو في السنوات الماضية .

تشرفت بالمقابلة في اليوم التالي لتقديم الطلب وقال لي جلالته في سياق الحديث : كيف حالك ؟ أجبت : إنني بخير مادام راضياً عني ، فعاد وكرر السؤال عن حالتي المالية التي كان قد بلغه خبرها . وكأني بجلالته لما بجميع شؤون رعيته ما جل منها وما دق ، فبدا عليّ الاضطراب إلا أن جلالته شجعني قائلاً : ( يا يوسف بك أنت من خيرة رجالنا وإن الله سيزيل عنك أسباب اضطرابك ويمكنك أن تعتمد عليّ في كل شيء ) فتفجرت الدموع من عيني وقلت : إنك يا مولاي قد أسررتني بهذه الكلمات وضاعفت من عزمي على مواجهة الشدائد وإن شاء الله ستحقق نبوءة تلك الكريمة يا مولاي . وقد كان وألف حمد الله . ومقتناً المضاربة الهدامة .

وليت مواطني يتعضون بما أصابني من المضاربات القطنية .

جاهدت بعد الذي جرى لي في كل مناسبة سانحة لحل الحكومات على تعديل لأئحة « بورصة العقود » بأن تحظر العمل على غير المحترفين الذين يقيدون أسماءهم في السجل التجاري لأن المحاكم تعتبر المضارب تاجراً وأعمال المضاربة أعمالاً تجارية . دافعت عن هذا الرأي في مؤتمر القطن الذي انعقد بمدينة ( براغ ) عام ١٩٣٣ ، ثم في المؤتمر الذي أقيم في مصر وظفرت منهما بترار يستهجنون فيه السماح لغير المحترفين بمزاولة أعمال البورصة مضاربين لأن دخولهم فيها يفسد جهازها ، وما زالت

موالياً الإلحاح ولكنى للأسف لم أفز للآن بأن يتخذ إجراء إيجابي حاسم يحفظ المصريين ثروتهم وكرامتهم اللتين تقدمان قرباناً على مذبح البورصة .

#### ٤ - الملك فؤاد يحمي مرافق الفلاح

و إذْ تطرق بنا الحديث إلى مسائل القطن أرى أن أثبت هنا ما عملته عام ١٩٢٣ بوصفى سكرتيراً عاماً للنقابة الزراعية المصرية العامة للدفاع عن مصلحة المنتجين الذين قد استباحات المضاربة النزولية حينئذ أهم مرفق من مرافق ثروتهم .

لما توالى نزول أسعار القطن في «بورصة العقود» ذهبت إلى الإسكندرية لأدرس حالة السوق عن كثب ، فخرجت من دراستي هذه إلى الاعتقاد بأن هذا النزول مفتعل تضافر على إحداثة فريق المصدرين والغزاليين الأجانب في حين أن العوامل الاقتصادية كانت لا تبرره على أية صورة فوجئنا بجهودنا إلى الحكومة طالبين منها مناهضة هذه الحملة المحبوكة الأطراف فلم نجد رغبة منها في إقالة عشرة السوق .

ولما يئسنا وذهبت جهودنا معها عبثاً خطر لى أن أقدم على عمل غير مألوف في التقاليد ، وكنت ساعثئذ مقياً بأحد فنادق الإسكندرية فتناولت ورقاً من أوراق الفندق وكتبت تقريراً مسهباً جداً وجهته مباشرة إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد وبصفة شخصية وسرية بحتة وكتبت على الغلاف ( لا يفتح إلا بيد جلالة الملك شخصياً ) وقد ضمنت هذا التقرير شرحاً وافياً لحالة السوق والعوامل الخفية والتيارات المبيتة التي تلعب في خفض الأسعار خفضاً قد يؤدي حتماً إلى إفقار سواد الأمة فوق ما هي فيه من مسغبة وشدة احتياج ، وأضفت أنه لا يمكن لكائن من كان أن يتصور أن سليل بيت محمد على وابن إسماعيل العظيم يرضى أن يكون ملكاً على أمة ضربت عليها الذلة والفقر والمسكنة ، وأن السلاح الأكيد المفعول في محاربة



حزب النزول أن تعلن الحكومة التدخل في بورصة العقود مشتريه مؤكداً أن مجرد هذا الإعلان سيرفع الأسعار إلى مستواها الحق وقد لا تكون الحكومة مضطرة إلى شراء قنطار واحد .

وفي نفس الوقت أرسلت كتاباً إلى المغفور له يحيى باشا إبراهيم رئيس مجلس الوزراء وكان بعزبته في الشرقية لقضاء أجازة عيد الأضحى .

بعد أن انتهيت من هذا العمل عتبت على نفسي وأخذتها على جرأتى التى دفعتنى للكتابة إلى الملك مباشرة على ورق عادى وبخط مرتجل ، ولم يكن قد سبق لى بعد أن تشرفت بالثول بين يدي جلالته . على أن الذى حدث أنه ما إن وصل تقريرى إلى يد صاحب الجلالة حتى أمر باستدعاء يحيى باشا إبراهيم من عزبته لمقابلته فوراً ، فلما مثل بين يديه قال له إنه تلقى تقريراً منى ، فرد يحيى باشا : انه هو أيضاً تسلم كتابى وأنه موافق على ما جاء فيه : فرغب إليه الملك أن يدعو مجلس الوزراء حالا ليقرر تدخل الحكومة في البورصة مشتريه ، فصدع بالأمر وأعلن في ندوة البورصة قرار مجلس الوزراء ، فانتشعت السوق وأخذت الأسعار فى الارتفاع . وإنما أردت أن أسجل هذه الحادثة لأظهر ما يجب أن يتحلى به أولو الرأى من إقدام على مصارحة الحكام بأرائهم والإلحاح عليهم فى الأخذ بها غير هيايين ولا وجلين . عندما يرون الخطر محدقاً بأحد مرافق الدولة ، فإن تهيب مخاطبة من بيدهم الأمر مباشرة يضعف من حجة منتقدي تصرفاتهم على عكس ما يكونون واقعين فيه من مسؤولية إذا دعوا إلى العمل بشجاعة فأحجموا أو تهاونوا ، وإنها للسبيل التى أخذ بها العرب أنفسهم فى صدر الإسلام فمز ملكهم وقويت شوكتهم .

الباب الثالث  
ما هو رفاقته في توريته سنة ١٩١٩



Organization of the Alexandria Library (C. 1919)  
*Bibliothèque d'Alexandrie*



أطلق سراح سعد ورفاقه الثلاثة من أعضاء الوفد المعتقلين في مالطة ، وقد سمح لهم بالسفر الى باريس . وقد برح هؤلاء محطة مصر في الحادى عشر من شهر أبريل سنة ١٩١٩ ليستقلوا الباخرة التى تلقى مراسيها في جزيرة مالطة ، فيستصحبوا معهم سعداً ورفقاءه الثلاثة الى مرسليليا .

جاء اطلاق سراح المعتقلين في مالطة نتيجة لتغير الخطط البريطانية بصدد معالجة الموقف . وذلك على أثر قيام البلاد على بكرة أيها بثورة عنيفة لم يكن أحد يتوقع حدوثها وقد صحبتها استقالة الوزارة الرشدية .

كانت السلطة العسكرية البريطانية قد فكرت بادى بدء في استمرار وسائل العنف التى شرعها الجنرال « بلفن » ، فدعت أعضاء الوفد الباقين للشول بين يديه في مقر القيادة بفندق « سافوى » ووجه اليهم القول بأنه يحملهم مسؤولية الثورة ، فانبرى عبد العزيز للرد عليه . وبما قاله : انه لمح المسترايموس فى مبنى ( السافوى ) وهو يطلب استدعاءه لسماع شهادته فى التهمة الموجهة الآن الى أعضاء الوفد .

لبي « بلفن » هذا الطلب وحضر المسترايموس فقرر بكل صراحة انه لا ذنب للحاضرين فى إشعال نار الثورة التى اندفع اليها الشعب بشعوره . وقد عقب على هذه الشهادة لطفى السيد مضيفاً أن الذى أغضب الشعب انما هو مقابلة مظاهراته البريئة بتقتيل أبنائه ونصح السلطة العسكرية بأن تستدعى رشدى أو على أو ثروت لتأليف وزارة تعمل على ترضية الأمة الترضية الكافية وبهذا وحده تخمد نار الثورة . وانى أنقل هنا ما نشره لطفى السيد ( بمجلة المصور ) فى ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٥٠ بحروفه ( بعد لقائنا لرجال السلطة العسكرية بأيام قلائل كنت مع صديقى عبد العزيز فهمى باشا نسمر فى منزل على شعراوى باشا فوفد علينا صديقنا الدكتور يوسف بحاس بك ، فقال لنا ( إنه علم عن ثقة أن السلطة العسكرية الإنجليزية ستفتش بيوت أعضاء الوفد الباقين وتقبض على أربعة منهم لتقتلهم فى اليوم التالى وتصادر أملاكهم )

على هذا الخبر قمت أنا وعبد العزيز باشا ، وركبنا سيارة شعراوى باشا وأوصلت عبد العزيز إلى منزله بمصر الجديدة وذهبت إلى بيتي بالمطرية فأحرق كل أوراقى السياسية لأنه لم يكن عندى الوقت الكافى لقرضاها . وكان من بينها يوميات الوفد التى لم تحل صفحة منها من ذكر رشدى باشا . وعدلى باشا . وثروت باشا . أحرقها خوفا عليهم من أن يصيبهم ماسيصبينا من النكال .

جلست بعد حرق هذه الأوراق فى مكنتى أنتظر التفتيش والقبض حتى الصباح ولكن لم يكن من ذلك شئ ، وفى هذا الحين عين المارشال اللبى وأعلن أنه يقبل من أى كان ما يراه فى أمر وقف الثورة القائمة وعودة السكينة والسلام إلى البلاد ، فأرسل إليه الوفد تقريراً شرح فيه أسباب الثورة وعزا حدثها إلى تصرف السلطة العسكرية العنيف ونصح بتنصيب واحد من الثلاثة المذكورين سالفا رئيسا للحكومة والإفراج عن المنفيين الأربعة وإعطاء البلاد الترضية الكافية

وعلى أثر وصول هذا التقرير إليه استدعانا وأخذ يناقشنا حتى اقتنع بما فيه فتألفت وزارة برئاسة حسين رشدى باشا وصدر الأمر بالإفراج عن المنفيين وأبيح لنا السفر إلى إنجلترا على باخرة عسكرية إنجليزية ) انتهى

لقد دونت يوما فيوما ابتداء من الحادى عشر من إبريل سنة ١٩١٩ بعض الحوادث التى وقعت إلى اليوم الذى بارحت فيه القطر ميمما باريس لأنتحى بالوفد المصرى . وسيبرز منها أن مشعل الثورة وروحها الوثابة كانوا على ماهر مدير إدارة المجالس الحسبية وقتذاك ورفاقه الواردة أسماؤهم فى سياق ما سيجىء

وإنه لمن العدالة الإلهية التى يأتى بها القدر أن يكون على ماهر فى طليعة ثورة سنة ١٩١٩ مذكيا لها محررضا عليها وأن يكون هو نفسه الذى يخفى فى عام ١٩٥٢ ثمارها بفضل ما أقدم عليه مع جيشنا المظفر من عمل جرىء سيخلق لنا مصراً جديدة مجيدة نرجو الله أن يكلاها بعين رعايته . وهى اليوميات بنصها

## ١١ أبريل سنة ١٩١٩

وصلت إلى محطة القاهرة في سيارة على شعراوى باشا مع عبد العزيز فهمي ولطفي السيد حوالى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين صباحاً فالتقط لنا مصورو السينما صورة أمام السلم الخارجى للمحطة . وكانت الجماهير على طول الطريق لا تعد ولا تحصى . وفى داخل المحطة زهاء ألف نسمة يحملون نصريجا من المحافظة بالدخول وكان الحماس جنونيا وألقيت خطب وقصائد قوبلت بتصفيق ملاً دويه الفضاء ومر اليوم لم يقع فيه حادث ما .

كنت بمزارعى فى فاقوس قبيل أن يطلق سراح سعد فسقطت من ظهر جوادى وانكسر رسغ يدى اليمنى ولهذا لم أستطع إلا أن أودع أصدقائى فى محطة القاهرة يوم سفرهم وقد لحقت بهم فى باريس بعد انقضاء ما يقرب من ستة أسابيع .

## تابع يوم ١١ أبريل سنة ١٩١٩

كان ممثلو الموظفين المضرين وعددهم ستة عشر عضواً قد أبلغوا رشدى باشا يوم ١٠ أبريل سنة ١٩١٩ الساعة الثانية بعد الظهر أنهم قرروا الاستمرار فى الاضراب ابتداء من يوم السبت ١٢ أبريل إلا إذا قبلت طلباتهم التالية وهى :

- ١ — اعتراف الحكومة رسمياً بأن الوفد المصرى يمثل مصر .
- ٢ — تصريح من الحكومة تعلن فيه أنها لا تعترف بالحماية إلى أن يبت فى تقرير أمر مصر بمؤتمر الصلح .
- ٣ — سحب الجيوش البريطانية المسلحة من المدن والقرى وجعل المحافظة على الأمن من شأن البوليس المصرى .

#### ٤ — إلغاء الأحكام العرفية .

وقد قرر الموظفون أن من يعمل منهم في رئاسة مجلس الوزراء يستمرون في عملهم أسبوعاً واحداً ، وألا يضرب الأطباء والذين يؤدون خدمات صحية .

دارت مفاوضات طويلة بين الوزراء : رشدي وعدلى وثروت وبين لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وشعراوى فى مساء اليوم العاشر من إبريل ووضعوا مجتمعين نص تصريح يحقق بعض مطالب الموظفين ولكن البريطانيين رفضوه ولم يوافقوا على نشره .

استمرت المفاوضات وأذاع رشدي على الصحف فى الثالث عشر من إبريل نداء يدعو فيه الموظفين للعودة إلى العمل ولكن صيغة النداء كانت مائة ولم تتضمن إجابة صريحة لأى مطلب من مطالب الموظفين .

فى مساء اليوم العاشر من إبريل كان قد أوعز لطفى السيد إلى الوزراء أن يذهبوا إلى المحطة لتحية أعضاء الوفد عند سفرهم ولكنهم رفضوا ذلك .

الإضراب عام ومستمر إلى اليوم الثالث عشر من إبريل .

يشاع أن اللبى عرض على حكومته استقالته لأنها وقد أعطته تفويضاً كاملاً فى اتخاذ ما يراه . عادت فقالت له (إنها ستصدر إليه تعليمات يوماً فيوماً) وقد رفضت حكومته قبول هذه الاستقالة .

من الشائعات أن أركان حرب البريطانيين ضد اللبى ، وهم يجيئون اتخاذ وسائل العنف وقد انتهى اللبى أخيراً بأن نزل على رغبتهم ولكن لندن أبت عليهم ذلك . علمت أن جريدة الأهرام ستنشر فى اليوم الثالث عشر من إبريل أننى عضو فى وفد سعد وأننى سأغادر القطار قريباً . فذهبت إلى داود بركات مع أشيل صيقلى مساء اليوم الثانى عشر من إبريل ورجوته أن يحذف هذا الخبر خشية ألا يصرح لى

بالسفر، وإني أعمل من الآن على حجز محل في إحدى البواخر وأزعم السفر في شهر مايو وقد لبي داود بركات طلبي .

## يوم ١٢ أبريل ١٩١٩

تقابلت مع حسن نشأت وحلمى عيسى عند عزيز بحرى في الساعة السادسة بعد الظهر فأخبراني انه قد تم الاتفاق مع الوزراء مساء الجمعة على نص تصريح يعلن فيه قبول مطالب الموظفين . وقد أقرت الوزارة نص هذا التصريح ، إلا أنه عندما قابل رشدى اللبى صرح له هذا الأخير بالآتى :

أولاً — أن الإنجليز لا يعترفون بأن الوفد يمثل مصر .

ثانياً — لا يعترفون بأن تسمى هذه الجماعة وفدا .

ثالثاً — أن البريطانيين سيحاربون هذا الوفد بجميع الوسائل في فرنسا ولا يسمحون له بالعمل إلا في لندن وبعد أن يكون قد اعترف صراحة بالحماية .

وفوق ذلك فقد علم الموظفون أن مبعوثين من الحزب الوطنى قد أوعز إليهم الإنجليز بالمطالبة بإلغاء الامتيازات الأجنبية وإخراج الإنجليز العسكريين والمدنيين من خدمة الحكومة فوراً ، وربط مصر بتركيا لإحياء فكرة الخلافة . كل هذا ليسيثوا إلى سمعة المصريين فترفض جميع طلباتهم .

دعا الموظفون رشدى إلى الاستقالة فأبى عليهم ذلك بحجة أن فى عنقه واجبات لبلده . ويقال إن اللبى وعده بتعويضه ويتهم بعضهم رشدى بأنه قد تغير وتضعفت ثقة الموظفين به .

قرر مندوبو الموظفين استمرار الإضراب وعدم العودة إلى عملهم فقابل جميع الموظفين هذا القرار بمظاهرة استحسان كبرى .



— ٧٢ —

أخبرنا حلمى عيسى أنه قد تقرر في جمعية الهلال الأحمر فتح مكتب لضحايا الحوادث فرفضت السلطة العسكرية الموافقة على هذا القرار وقد سجل هذا الرفض في محضر الجمعية العمومية للهلال الأحمر .

قال لنا حلمى عيسى إن الطلبة قد أعدوا من أنفسهم بوليسا منظما للقاهرة ابتداء من اليوم الثالث عشر من أبريل في الساعة الرابعة بعد الظهر وأخذوا على أنفسهم عهداً أنه منذ هذا الوقت سوف لا يقع اعتداء لا على الأوربيين ولا على الأرمن ولا على السوريين الخ ولو تمهدى نفر من هؤلاء الجماهير المصرية .

١٥ أبريل ١٩١٩

أذاعت رئاسة مجلس الوزراء دعوة جديدة إلى جميع الموظفين بأن يعودوا إلى العمل يوم الأربعاء في السادس عشر من هذا الشهر وأن الحكومة تحملهم مسؤولية ما يترتب على رفضهم العودة من النتائج الخطيرة .

سيجتمع بعد ظهر اليوم الأربعة والخمسون مندوباً عن هيئة الموظفين .

قرأت المنشور الذى أذاعه مجلس مديرية الجيزة باللغة العربية متضمنا الفظائع التى ارتكبها الإنجليز في « العزيزية » و « البدرشين » و « نزلة شوبك » من إشعال الحرائق ، ومن النهب وسبى النساء والتقتيل الخ . وقد قرر المجلس بالإجماع استنكار هذه الأعمال الوحشية وقدم مدير الجيزة — أحمد حمدى سيف النصر — استقالته احتجاجا على ارتكاب هذه الفظائع وتبعته هذه الاستقالة استقالة مأمور الضبط إبراهيم دسوقي أباطه الذى كان ساعد مديره الأيمن ومتضامنا معه في إثارة هذه الاحتجاجات ضد تلك المظالم البربرية .

في صبيحة هذا اليوم نشرت الصحف بلاغا بعدة أحكام في منتهى الصرامة صدرت ضد محدثي الشعب منها ما قضى بالأشغال الشاقة لمدة تختلف بين خمس عشرة

سنة وعشر سنوات وخمس سنوات . وتناديا من هياج الرأي العام صدر أمر للرقابة الصحفية بمنع نشر هذه الأحكام في المستقبل .

علمت أن معاون بوليس شبرا قد هاجمه أربعة عساكر من الجنود الانجليز واعتدوا عليه وسلبوا ما معه وقد استطاع أن يحصل على أرقامهم . فلما رفع شكواه إلى القيادة البريطانية في فندق « سافوي » قائلا إن عنده شهود إثبات رفضت قبول شكواه بحجة أنه ربما يكون قد أخطأ عند أخذه لأرقام هؤلاء الجنود .

قدم مندوبو الموظفين عريضة إلى عظمة السلطان وإلى الوزراء ويمثل الدول موضحين فيها الأسباب التي تدعوهم إلى الاستمرار في الإضراب .

اجتمع المحامون الوطنيون في مقر نقاباتهم وتباحثوا فيما إذا كان الوقت ملائماً لأن يسافر وفد من الحزب الوطني إلى أوروبا .

أح الأستاذ أحمد لطفي في وجوب السفر فعارضه الآخرون وقد نشر أمين الرافعي بيانا أنكر فيه أن الأشخاص الذين يريدون السفر إلى الخارج هم من أعضاء الحزب الوطني فإن الأستاذ أحمد لطفي قد سبق له أن قدم استقالته من الحزب . فضلا عن أن قانون الحزب يقضى بأن ينتخب أعضاؤه لمدة ثلاث سنوات تنتهي عضويتهم بانتهائها وقد مضى زمن طويل لم تجر فيه انتخابات .

هرب بعض المسجونين في سجن طره ، وقتل كثير منهم وجرح وغرق آخرون كما هو منشور في صحف هذا اليوم .

تتناقل الأسنة أنه قد وصلت إلى مصر جيوش بريطانية جديدة . قال عدلى للطفى السيد قبل سفره ( إن في السودان ثورة ) وقد نقل إلى هذا الخبر حلمى عيسى في الرابع عشر من الشهر الجارى .

يقولون إن إضراب الموظفين يسبب مضايقة لوكالة فرنسا السياسية ولكثير من الأوربيين وهذا الضيق يستشع مما تنشره الصحف الأوربية .

يقولون أيضا إن عدداً كبيراً من الأوانس والسيدات الأرمنيات اللاتي قد التجأن

إلى المعسكر البريطاني في « هليو بوليس » قد اعتدى العساكر الانجليز على عفافهن ويوزع في الاسكندرية نداء يناشد الوطنيين بالألّا يعتدوا على الأرمن بل يكتفى بمقاطعتهم .

## الأربعاء ١٦ أبريل ١٩١٩

شاهدت أمام منزلى المسجونين يكتسون ميدان الإسماعيلية ويقود عربات الرش عساكر من الجنود الانجليز والهنود .

إضراب عمال الترامواى ما يزال مستمرا لأنه لم يحصل اتفاق على الرغم من تدخل رشدى لتحسين حالة العمال .

يقال إن عمال العنابر المضر بين ينسولون فى الشوارع .

فى مساء هذا اليوم ألقى القبض على نجيب بك فهمى وهو من كبار موظفى السكة الحديدية وأودع ثكنات قصر النيل .

استدعى رشدى باشا على بك ماهر وألح عليه فى عودة الموظفين قائلا إنه هو الذى منع الانجليز إلى الآن من أن يتخذوا وسائل شديدة ضدهم وقد استدعى رشدى باشا عشرة من أعضاء الوفد المصرى لمحاولة إقناع الموظفين بالعدول عن الإضراب والعودة إلى عملهم فصارحوه بأنهم لا يستطيعون التدخل .

وقع عشرون ألفاً من رجال الأزهر عريضة بتأييد مطالب الموظفين .

توقفت السكة الحديدية تماماً إلا فيما يتعلق بنقل الجنود البريطانيين .

جميع مكاتب البريد مغلقة حتى شبائيك توزيع الرسائل .

أكثر الحوانيت مغلقة أيضاً إلا فى الأحياء الأوربية .

قدّم ممثلو الدول الأجنبية إلى الحكومة إنذاراً بأن دولهم ستنشئ مكاتب بريد أجنبية فى القطر إذا لم يباشر موظفو مصلحة البريد عملهم فوراً .

## الخميس ١٧ أبريل سنة ١٩١٩

ما يزال إضراب الموظفين مستمرا

كان عدد الموظفين الذين ذهبوا إلى الوزارات يوم أمس أكثر من عددهم اليوم وقد اختفت سجلات إثبات حضور الموظفين من وزارة المالية بتاتا .

اقتحم الطلبة على رشدى مكتبه وخاطبوه بقولهم ( ألم تقدم استقالتك إلى الآن ؟ إن لم تبادر بتقديمها فسنجبرك على الاستقالة بالقوة ) .

قابل وفود من داخلية البلاد رشدى وقالوا له ( ما دمت غير قادر على عمل شيء ما ، فيجب عليك أن تبادر بالانضمام إلى صفوف الشعب .

قال رشدى باشا لعل بك ماهر ( أن ثمة خطراً شديداً يهدد الموظفين إذا أصروا على موقفهم ) فأجابه ماهر بك : وما انتهى إليه قراركم في المسألة العامة التي وردت في مطالب الموظفين ؟ أجابه رشدى : لم أستطع عمل شيء في هذا فرد عليه ماهر بقوله ( إذا فأنت لم تدعنى إلا تههدنا ؟ اعلم أن هذا غير مجد شيئاً ) ثم استقبل رشدى وفداً من الموظفين وقالوا له إنهم لا يعبأون بالتهديدات . إن اللورد اللبني يرفضه لهذه المطالب إنما يخدم بلاده . وأنت ماذا تعمل لخدمة بلذك ؟ ثم قالوا ( قد يرغم البريطانيون أحدكم على أن يعترف بالحماية ) فرد عليهم بقوله ( لن يكون هذا ما دامت وزارتي قائمة ) قالوا له ( ولكنه قد حصل من مدة أربع سنوات ووزارتك قائمة أن أجبر المصريون على التوقيع مرغمين على التطوع في الجيش بفرقة العمال وفرقة الجمالة ) .

إن رشدى باشا يتلقى إهانات شديدة جداً وقد قال له مدحت يكن في نادي محمد على ( ألم تدعنى للاشتراك في وزارتك إلا لأنهم بأننى خائن لبلادى ؟ لولا

—٧٦—

احترامى لشخصك لكلفت سائق عربى أن يضرب بالسياط ذلك النفر من الغوغاء  
الذى وجه إلى هذه التهمة )  
فتحت الحوانيت ولكن مكاتب البريد ما تزال مقفلة .

١٨ أبريل سنة ١٩١٩

طبع نداء ليوزع على الأجانب .  
حرر العلماء محضراً لجلسة الأزهر التى عقدت فى اليوم السادس عشر من هذا  
الشهر ووزعوه على الوكالات السياسية ، وأن محاضر مجلس مديرية الجيزة توزع فى  
محل جرونى باللغتين العربية والفرنسية .

١٩ أبريل سنة ١٩١٩

وصلت برقية إلى بنك «الكريدى ليونيه» مؤرخة فى الخامس عشر من أبريل  
من الأستاذ عزيز منسى الذى كان مرافقاً لسعد زغلول وصحبه . ورد فى البرقية  
( صحتنا جيدة . نواصل سفرنا إلى مرسيليا مع الباشوات الأربعة . اخطروا بذلك أسر  
نحاس . وعبد العزيز . وشعراوى . ولطفى السيد ) .  
وصلت برقية أخرى من سعد باشا إلى أسرته وإلى أسرة محمود باشا سليمان فى  
الثالث عشر من هذا الشهر جاء فيها ( وصل وفدنا إلى مرسيليا وهو فى طريقه  
إلى باريس ) .

يقال إن مدير مقاطعة ( الرن ) استقبل الوفد على الباخرة عند وصولها .  
يؤكدون أن الأرمن المحتجزين فى ممسكر ( هليو بوليس ) قد تشاجروا مع  
الجنود الإنجليز لاعتداء هؤلاء الجنود على عفاف نسائهم ، وأنهم هربوا بعد ذلك

—٧٧—

واعترضوا بكنيسة الأرمن في هليو بوليس . يقال إن رشدى يقبل . إما أن يعطى  
للصحف تصريحاً موقعاً عليه منه يعترف فيه بأحقية مطالب الموظفين ، وإما أن يرسل  
برقية إلى سعد يسأله فيها هل قابل مؤتمر الصلح وفدنا ؟ ثم يذيع في الصحف الرد  
الذى يتلقاه من سعد .

أرسل نجيب بك فهمى إلى مالطة .

سيخطب مكاتب نيو يورك هيرالد في الأزهر اليوم الساعة الثامنة مساء .

٢٠ أبريل ١٩١٩

هذا اليوم هو عيد الفصح عند المسيحيين . ذهب وفد من الموظفين والطلبة  
والحاميين والقضاة إلخ . إلى بطريركيات الروم الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس  
والأقباط والموارنة والآباء اليسوعيين لتبادل التهنيات بالعيد . وكان الزحام بالغاً  
أشده عند بطريركية الموارنة حيث وافى هؤلاء المهنئين مندوبون من الأزهر ، فبلغ  
عدد الجميع زهاء ألف نسمة ، وأقيمت في هذا الجمع الحاشد الخطب والقصاصد من حلى  
عيسى و خليل مطران وغيرهما .

حالة المدينة هادئة ولم تقع حوادث .

٢١ أبريل ١٩١٩

يوم شم النسيم هدوء شامل .

تقابلت مع الموم بك السعدى في مكتب عزيز بحرى فأكدلى أنه وطنى صميم  
ومن طلاب الاستقلال لبلاده وأنه قد توجه إلى مديرية البحيرة لدعوة العشائر  
العربية هناك إلى الكف عن أعمال التخريب . وأضاف أنه قدم احتجاجاً إلى

اللورد اللنبى بأن الطيارين قد ألقوا قنابلهم على قرية أبى المطامير وقرية أخرى مجاورة لها فقتل عشرون شخصاً وذلك على أثر تبليغ أحد الخفراء بأنه يوجد فى هاتين القريتين بدو مسلحون ، وظهر فيما بعد أن هذا التبليغ كاذب .

قدم مبروك باشا فهمى إلى اللورد اللنبى شكوى بأن الجنود البريطانيين أعتدوا عليه بالضرب وسلبوه ماله ، فكلف اللورد ضابطين بريطانيين بتحقيق هذا الحادث . حدث أيضاً أن كامل أفندى منصور وهو موظف فى شركة السكر فى الحوامدية قد هاجمه ليلاً فى غرفة نومه جنديان بريطانيان طلبا إليه نقوداً ثم ضرباه بجمع يديهما المغطاتين بالحديد فأحدثا به جرحاً فى جبهته وكدمات جمة فى جسمه ثم خف إليه عند استصراخه جنود بريطانيون آخرون لإنقاذه وقال كامل أفندى ( إن الجنود البريطانيين فى هذه الجهة يبيعون السكر والفانلات والساعات التى يسرقونها بأثمان بخسة جداً ) .

أشيع أن حمدي سيف النصر مدير الجيزة أبى أن يسترد استقالته التى كان قد قدمها بسبب الفظائع التى ارتكبها الجنود الإنجليز ، ومن تلك الفظائع أنهم أرادوا الاعتداء على عفاف امرأة فرفعت طفلها الصغير بين ذراعيها استرحاماً لهم فأردوه قتيلاً بطلقة من مسدس ...

قدمت الوزارة الرشدية استقالتها إلى عظمة السلطان فى الساعة الحادية عشرة مساء . واجتمع صباحاً عشرة من مندوبى الموظفين وقرروا عودة الموظفين إلى العمل فى صبيحة اليوم الثالث والعشرين من هذا الشهر وذلك على أثر علمهم بالأمر العسكري الذى أصدره اللورد اللنبى فى اليوم الثانى والعشرين من ابريل وقد أذيع فى الساعة الرابعة بعد الظهر من غير أن تخطر الوزارة به .

ونثبت هنا نص القرار الذى قرره لجنة مندوبى الموظفين فى وزارات الحكومة ومصالحها .

## قرار

### من لجنة مندوبي موظفي وزارات الحكومة ومصالحها

اجتمعت لجنة مندوبي موظفي وزارات الحكومة ومصالحها في وزارة الداخلية الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ ابريل سنة ١٩١٩ وبعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذي عقده عشرة من أعضاء اللجنة بصفة مستعجلة في الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ من مساء يوم الاثنين ٢١ ابريل الحاضر عقب استقالة الوزارة الرشدية ، الذي رأوا فيه دعوة الموظفين إلى العودة إلى أعمالهم ، وبما أن هذه الدعوة لم يتيسر لعدد من الموظفين العلم بها ، كما أنهم لم يتيسر لهم التحقق من الاستقالة التي كانت دون سواها السبب في الدعوة إلى العودة ، لا سيما وأن قبول الاستقالة لم ينشر إلا بعد ظهر الأربعاء ٢٣ ابريل الحاضر ، وبما أنه قد ترتب على كل ذلك تخلف الكثيرين من هؤلاء الموظفين عن العودة إلى أعمالهم ولا يزال بعضهم متخلفا ، وبما أن الطلبات التي طلبها الموظفون تأييدا للقضية الوطنية وأضربر من أجلها إضرابا عاما وأقربتهم عليها الأمة ممثلة بجميع طبقاتها إقرارا تاما إنما طلبت من الوزارة الرشدية فلما لم تستطع تلك الوزارة إجابتها بعد أن سلمت بصحتها استقالت . وبما أن الاستقالة في هذه الحالة هي في حكم الإجابة ، فلذلك قررت اللجنة بالإجماع ما يأتي :

أولا : إقرار الدعوة التي صدرت من الأعضاء العشرة المشار إليهم بالعودة إلى العمل واعتبارها قرارا صادرا من اللجنة بأجمعها .

ثانيا : الاحتجاج الشديد على ما بدا من عدد من الموظفين الانحياز في بعض المصالح من الاضطهاد وسوء المعاملة لبعض الموظفين المصريين الذين عادوا إلى أعمالهم وتذكير هؤلاء الموظفين الانحياز بأنهم رغم جنسيتهم موظفون في الحكومة المصرية



فلا يسوغ لهم استخدام مراكم الرئيسية الانتقام من الموظفين المصريين الذين أقرت الحكومة المشار إليها رسمياً بأن إضرابهم كان لتأييد المطالب القومية ثالثاً : توجيه النظر إلى ضرورة الإفراج عن الموظفين الذين اعتقلوا وإعادة الذين منعوا عن أعمالهم إلى وظائفهم

فليحي الوطن وليحي الاستقلال التام . التوقعات :

محمد عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعى . محمد زكى الأبراشى وكيل نيابة الاستئناف . على ماهر مدير إدارة المجالس الحسبية . صادق حنين مدير الإدارة والإحصاء بالزراعة . محمود ركن مفتش بإدارة الأمن العام بالداخلية . محمود سامى سكرتير عام وزارة الأشغال . محمد حلمى عيسى مدير الإدارة القضائية بوزارة الداخلية محمد عبد الهادى الجندى قاض . عبد العظيم راشد وكيل نيابة محكمة مصر المختلطة . أحمد شرف الدين وكيل إدارة المحاكم الشرعية . سلامه ميخائيل قاض . حسن نشأت مدرس بمدرسة الحقوق . محمد لبيب عطيه سكرتير عام النيابة العمومية . محمود حسن مفتش بإدارة الأمن العام بالداخلية . أحمد صادق وكيل قسم الإدارة بوزارة الداخلية . محمد شكرى طلحه إدارة الأمن العام بالداخلية . محمد قطبى وكيل مصلحة السجون . أمين فريد رئيس إدارة بمصلحة السجون . إبراهيم دسوقى أباظه مأمور ضبط مديرية الجيزة . محمود عباسى وكيل إدارة بوزارة الحربية . عبد الباقي صالح وكيل إدارة بوزارة الحربية . أحمد حسن بوزارة الحربية . محمود حسيب وكيل إدارة قسم قضايا المالية . عطيه حجاج رئيس قلم التحصيلات بالمالية . فؤاد برسوم رئيس قلم نزع الملكية . مصطفى شوق بالمطبعة الأميرية . نجيب اسكندر دكتور بمصلحة الصحة . برسوم روفائيل بالبوستة . محمد فهمى بالبوستة . أحمد مختار نجيب مندوب قلم قضايا الأشغال عبدالعزيز فريد باشمهندس مهندسة السكة الحديدية . أحمد فهمى وكيل إدارة بالأشغال . مصطفى منير سكرتير تنظيم مصر . وهبه مينا باشكاتب المباني بوزارة الأشغال . إبراهيم رمزى مترجم فنى بوزارة الزراعة . على زيتون قومندان مدرسة البوليس .

أبو الفتح الفقى وكيل قلم الترجمة بإدارة التعليم الفنى . مصطفى سعيد رئيس المراجعة  
: بإدارة الخزينة . إسماعيل نيازى وكيل إدارة بوزارة الخارجية . بدرخان على وكيل  
مديرية الجيزة

يوم ٢٢ أبريل سنة ١٩١٩

نشرت الجريدة الرسمية الأمر العسكرية الذى أصدره اللورد اللنبى ، وقد علق  
هذا الأمر فى جميع الطرقات بثلاث لغات .

يزعم الموظفون أن لديهم دليلا قاطعا على خيانة بعض الوزراء ولكنهم أقسموا  
جهد أيمانهم ألا يذيعوا شيئا عن ذلك فى الوقت الحاضر ، ويظهر أنهم ينظرون إلى  
مرشدى نظرة غير كريمة .

سيقرر المحامون العودة إلى العمل غداً .

تعرفت بوزير فرنسا المفوض فأنبأنى أن الغضب آخذ مأخذه من اللنبى الذى  
كان قد وطد العزم على إراقة الدماء واتخاذ وسائل الشدة . وسألنى : أعند المصريين  
إستعداد لأن يكسبوا الحرية بالإستشهاد فى سبيلها ؟ ووصف السياسة البريطانية فى  
مصر بأنها غير منطقية . وقال المسيو « ديروازاس » مدير مدرسة الحقوق الفرنسية  
فى مصر ( إن نفرا من الانجليز سليمى التفكير ينتقدون سياسة حكومتهم فى مصر )  
فأجابه الوزير المفوض أنه لا يظن أن عددهم كثير

أخبرنى حسن بك نشأت أن الانجليز سيغتنمون فرصة اجتماع ندوى الموظفين  
للإلقاء القبض على عدد منهم ، ويتوقعون أن ينبج عن ذلك مظاهرات سلمية يقيمها  
الانجليز بوسائل وحشية وإراقة الدماء . وقد نمت إلى الموظفين أن بعضا من الأسرى  
البريطانية المقيمة فى الأحياء الوطنية قد نقلت إلى جهات أخرى . ومهما يكن من  
شئ فان الانجليز لن يغلبونا على أمرنا لغباوتهم .

هتف الموظفون في الساعة السابعة مساء عند جروبي صائحين «ليجي الإضراب»  
وقاموا بتوزيع منشورات جاء فيها ( أن مندوبيهم لم يقرروا العدول عن الإضراب )  
فدعوتهم أنا وحلمى عيسى بك إلى مراجعة أنفسهم والعودة إلى مباشرة العمل .  
قبل عظمة السلطان استقالة الوزارة في الساعة السابعة مساء بعد أن وافق عليها  
الانجليز ...!

### ٢٣ أبريل سنة ١٩١٩

عاد أغلب الموظفين إلى عملهم ووقعوا على سجلات حضورهم ، إلا أن عدداً  
لا يستهان به قد انصرف بعد التوقيع .  
إن نجيب بك فهمى الذى لم يتقل إلى مالطه وكان ما يزال في القنطرة قد  
أطلق سراحه وعاد إلى عمله في السكة الحديدية كما جاء في جريدة « الأهرام » .  
نشرت الجرائد كتاباً من ممثل الولايات المتحدة في مصر ضمنه اعتراف حكومته  
بالحماية . وقد أحدث أثراً سيئاً في المدينة .  
أصدر الجنرال ( بلفن ) أمراً عسكرياً يحظر فيه جمع الاكتتابات . أخبرنى  
حسن نشأت أنه جاء ذكرى في اجتماع ممثلى الموظفين الذين رشحونى لوزارة المالية!!

### ٢٤ أبريل ١٩١٩

عاد الموظفون ولكن الجماهير رشقتهم بالحجارة وقذقتهم بعبارات السباب  
فأجفل عدد كبير منهم وقلوا إلى بيوتهم راجعين .  
أتى القبض على « على بك عمر » وعلى ثمانية آخرين من موظفى وزارة المعلوم  
العمومية بتهمة أنهم حرضوا على الإضراب .

ونشرت الصحف إعلانا جاء فيه ( أن الجيش سيعمى الموظفين )  
 علق في نادى ( ريزوتو ) الإيطالى نص برقية جاء فيها ان الوفد الإيطالى  
 فى مؤتمر الصلح بباريس قد غادرها إلى روما فى قطار مخصوص احتجاجا على تصريح  
 ألقاه الرئيس ( ولسن ) .

ترك سعد باشا بطاقته لجميع مندوبى الدول فى باريس فرد معظمهم له الزيارة  
 بترك بطاقاتهم له .

التقيت بمحمد صدق باشا المستشار فقال لى إن الباشوات الأربعة الذين كانوا  
 معتقلين فى مالطة قد أسيئت معاملتهم هناك . فان مكان الاعتقال كان قارس البرد  
 ولا يوجد فى كل غرفة إلا سرير وكرسى خشبى . ولم يسمح لهم بالخروج فى الأسبوع  
 إلا مرة واحدة فقط على أن يكونوا فرادى ، وذلك فى الساعة الثالثة مساء ، وقدمت  
 عنهم الزيارات . أما الموظون بخدمتهم فقد حظر عليهم الخروج بتاتا كما أنهم لم  
 يتلقوا خطابات من أهلهم أو ذويهم ، وإن الأمتعة التى كانت قد أرسلت اليهم منذ  
 اليوم الأول لم يتسلموها .

يوما ٢٥ و ٢٦ أبريل ١٩١٩

لم يطلق سراح الموظفين المقبوض عليهم .  
 الحالة هادئة .

كف الجنود البريطانيون عن الاعتداء على الحوانيت والمقاهى ولاسى الطرايش إلخ  
 أبى الموظفون أن يعينوا عدد الأيام التى انقطعوا فيها عن العمل لأن معظم  
 سجلات الحضور قد اختفت ، وقد أجاب موظفو وزارة الداخلية مديرهم ( برنت  
 ستيوارت ) أن ثمة سابتين لإضراب الموظفين الإنجليز ، فقد أضر بوا مرة سبعة أيام

احتجاجاً على حادثة الحدود التي قد أحدثها الخديوى عباس . وأضر بواصرة ثانية احتجاجاً منهم على تعيين وزارة فخرى باشا . ومع ذلك فقد قبضوا رواتبهم كاملة ، وذلك فضلاً عن أن امتناع الموظفين المصريين عن العمل إنما كان لسبب أسى وأعظم فإنه يتعلق بحرية الوطن ، وشتان بين الدافع في الحالتين .

وزع كتيب صغير به رسوم فتوغرافية لحوادث «سقط الملوك» حيث قد ارتكبت فظائع تعجز الوصف

٢٧ و ٢٨ أبريل ١٩١٩

الحالة هادئة . لم يفرج عن المعتقلين التسعة من موظفي وزارة المعارف بل حدث ما لم يكن متوقعا فقد قبض على المحامى محمد كامل حسين بتهمة تحريضه العمال على الإضراب وقبض على برسوم افندى روفائيل من موظفي بريد القاهرة بحجة أنه أبى أن يفادر مكتبه الذى كان يريد المستر (وايم) مدير البريد أن يطرده منه . و برسوم افندى من أعضاء لجنة الموظفين ، كما قبض على القس سرجيوس ، وهؤلاء جميعا معتقلون فى القنطرة ويظهر أنه لم يفرج عن نجيب بك فهمى .

إن موظفي المعارف التسعة الآنف ذكرهم قد قبض عليهم بإيعاز من المستر (دناوب) مستشار وزارة المعارف العمومية .

مافتىء الانجليز يقيمون الحركة الوطنية فى داخلية البلاد بطرق وحشية وجاء فى تقرير رسمى إلى وزارة الحقانية أن البريطانيين يرغبون العمدة فى نواحي كفر الشيخ على أن يقدموا كل يوم ثلاثين رجلا ليجلدوا .

لا بد من الحصول على تصريح خاص للانتقال من قرية إلى أخرى فى أنحاء مديرية المنوفية .

— ٨٥ —

صدر أمر في قنا يلزم كل شخص بأن يؤدي التحية للضباط الإنجليز وقد أدى شقيق «جعفر باشا والى» أحد مفتشى وزارة الزراعة في قنا أن يمثل لهذا الأمر قبض عليه وأرغم على التحية . وقدم احتجاج من محكمة قنا وموظفيها بأنهم سيعتصمون جميعهم في منازلهم إلى أن يلغى هذا الأمر .

يقال إن اللورد اللبى يحنح إلى الالين والمسألة ولكنه مضغوط عليه بشدة من الموظفين البريطانيين المشبعين بروح الاستعمار .

كان اللبى يريد أن ينشر في الجريدة الرسمية بياناً يلفت فيه الموظفين إلى أنهم موظفون في الحكومة المصرية فيجب أن يقلعوا عن إساءة معاملة الموظفين المصريين فقامت ضد نشر هذا البيان احتجاجات هائلة فاكتمل اللبى بأن يذيعه بطريقة التعليمات السرية . إلا أنه بالرغم من هذه التعليمات فإن سوء المعاملة مستمر، ومنه إلغاء العلاوات التي سبق أن منحت للموظفين المصريين . وقد أحدث هذا الإلغاء في الموظفين موجة امتعاض ينشئ معها أن يعودوا ثانية إلى الاضراب .

منعت الرقابة الصحفية التعليق على البرقيات التي وردت عن اضطرابات في الهند .

٣٩ و ٣٠ أبريل ١٩١٩

عرض البريطانيون على الحسيب النسيب السيد على الميرغنى أن يقيموه سلطاناً على السودان فأبى . ويقال إنهم يريدون إسناد السلطنة إلى « النجومى » وهو شاب يتقن التكلم باللغة الإنجليزية . وقد جاءوا به إلى مدينة الخرطوم وأسكنوه قصرًا فخماً ، وأحضرت له الخليل المسومة والمتاع والأثاث .

جلد نجيب بك فهمى وهو الآن مريض فى المستشفى رقم ١٤ فى القنطرة .  
حصلت اعتقالات من الأزهريين والموظفين وغيرهم .

أساليب العنف فى المنزل متعددة . وقد حاصر البريطانيون قرية من قراها  
وأمرؤا باخراج الرجال وأرادوا بالنساء الفحشاء فهب الرجال مدافعين عنهن وتسبب  
عن ذلك أن صرع ستة وأربعون وجرح عدد كبير، ونهبت القرية ، ويقال إنه  
سلب منها مائة وخمسون ألفا من الجنيهات .

فى المطرية من ضواحي القاهرة أبى العمدة أن يؤدى التحية إلى كريمة المستر  
( الكسندر برد ) وهى صديقة لأحد الضباط الانجليز فما كان من هذا الأخير إلا أن  
أمر بحصار القرية ونهبها وسبي النساء وجلد الرجال !

فى ديرمواس وسانبو بأسىوط حدثت فظائع من هذا النوع المتقدم ذكره . فقد  
قبض على ثمانية من رجال القرية انتقاما لقتل ثمانية من الضباط الانجليز فى السكة  
الحديدية وأمر ( مكنوتن ) الجنود بأن يضربوهم بأيدي البنادق حتى يموتوا .

١٩١٩ و ٣ مايو ١٩١٩

ليس فى الأفق من جديد إلاّ القاء القبض على بعض الموظفين والشيخ القاياتى  
ونفر من الأزهريين .

التقيت بمحمدى سيف النصر فأعلمنى أن محاضر التحقيقات عن العزيزية  
والبدرشين ثبت ارتكاب فظائع لا يمكن وصفها ، فقد وضع الرجال فى حفرة إلى  
نصف قامتهم وراح الجنود الانجليز يخزنونهم بسنابك الحراب حتى الموت . وسبيت  
النساء . واشتعلت حرائق فى وضح النهار . وإن الوقت الذى اشتعلت فيه ليقوم  
دليلا كافيا على كذب التقرير الانجليزى الرسمى الذى يعزو حدوثها إلى أن الرجال

قفزت على أسطحة البيوت فانقلبت مصاييح غاز الاستصباح التي بأيديهم وأحدثت تلك الحرائق . وقال لى إنه قابل اللورد اللنبى عند حضوره إلى القطر المصرى وأطلعه على هذه الفظائع فاعتذر اليه اللورد اللنبى بقيام الأحكام العرفية . الا أن حمدى انتهى بإقناعه بوجوب معاقبة مرتكبى هذه الفظائع ردعا لغيرهم . بيد أنها تجددت وفى نطاق أوسع فاستقال حمدى ثلاث مرات ورفض بعد ذلك أن يقابل اللنبى أو أن يسترد استقالته .

يقال إنه سيصل إلى مصر فى الثامن عشر من مايو لجنة تحقيق وأنه صدرت تعليمات من وزارة الداخلية بزيادة عدد رجال البوليس الذين يحافظون على الأمن فى المحطات التى ستمر بها هذه اللجنة . ومن الطبيعى أن هذه الحراسة غير العادية ستثير نفوس أعضاء اللجنة ضد المصريين .

يشاع أن عظمة السلطان سيصدر عفوا عن الموظفين يمكنهم من الاستيلاء على رواتبهم المحتجزة .

## ٤ مايو ١٩١٩

اعتقل الدكتور اسماعيل بك صدقى زوج كريمة أحمد باشا يحيى ونقل إلى القلعة .

أشيع أن الأوربيين المقيمين فى فاقوس قد تلقوا أمراً من السلطة البريطانية العسكرية بأن يستعدوا للنزوح عن المدينة ابتداء من الخامس من شهر مايو لمدى ثلاثة أيام حاملين معهم ما يحتاجون اليه من المؤونة خلال هذه المدة والناس فى المدينة لا يستطيعون لهذا الأمر تعليلاً اللهم إلا أن تكون السلطة البريطانية قد



اعتزمت أن تقوم بأعمال وحشية ولا تريد أن تكون على مشهدين هؤلاء الأجانب القاطنين بهذه المدينة .

١٩١٩ مايو ٦ و ٥

قبض على وكيل مديرية القليوبية وهو شقيق مصطفى بك الخولى ، وعلى مأمور مركز طوخ وهو حبيب حسن شقيق حافظ باشا حسن مدير الدقهلية .  
ذهب وفد من علماء الأزهر إلى الجنرال ( وطن ) وطلبوا إليه الانزاج عن الشيخ القاياتي فقال لهم الجنرال ( وطن ) ان الأزهر هو مباءة الاضطرابات والمنشورات التي تحض على الثورة . فرد عليه الشيخ محمد شاكر قائلا : إذا كان الأزهر يثير اضطرابات فان جنودكم هي السبب . فرد عليه الجنرال ( وطن ) : لا يمكنني أن أستمع كلاما من هذا القبيل في هذا الموضع الذي نحن بصدده .

تتناقل الألسنة إشاعة تشكيل وزارة برياسة اسماعيل باشا سرى كفت صبيحة هذا اليوم في الزقازيق حيث السكنينة شاملة وإحالة عادية .  
وعلمت بحريق بلدة الشبانات الذي أشعله البريطانيون في شهر مارس ، فلم تذر النار من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم ، ونخلقت النار خمسمائة نسمة بلا مأوى ، وقدر مجموع الخسائر بعشرين ألفا من الجنيهات ، وذلك عمدا للنقولات والمصوغات التي احترقت أو سُرقت .

يقولون إن محمد كامل حسين الحامى الذى سبق القبض عليه قد ترك ثلاثة أيام يفترش البلاط . وتداولت الألسنة أنه قد أُلقي القبض على زكى محمد على الحامى وهو من أعضاء الحزب الوطنى .

لما تراسى إلى سمعى خبر تأليف وزارة إسماعيل سرى باشا نضعت للموظفين بأن يسعوا من جهتهم لتأليف وزارة عدلية على ألا يفرضوا عليها برنامجا معينا

كما فعلوا مع رشدي . وهذه الوزارة ستطلب رفع الرقابة وإجراء انتخابات حرة  
لجمعية . تشريعية فتتصل هذه الجمعية بلجنة التحقيق عند وصولها . وإذا كان الوفد  
المصري لم يصل إلى نتيجة بعد فإن الجمعية التشريعية أن تقرّر تأجيل التحقيق إلى  
أن ينتهي الوفد من مهمته وإلا فإنه يحثّ في حالة قيام وزارة ( سرية ) أن  
يغتصب الإنجليز من بعض الأعيان ومن غيرهم قرارات ومطالب تتعارض وما توجبها  
المصلحة الوطنية .

حاولت إقناع ضاقي بك حنين وحسن نشأت بك باقتراحى هذا فقالا ( إذا  
طلبنا وزارة عديلة فالإنجليز لا يرتضونها ) فأشرت عليهما بأن يقوما بتسليم  
غير مباشر . لدى عظمة السلطان لتأليف تلك الوزارة العديلة . ولكني لم أستطع  
إقناعهما بما أردت ، فضلاً عن ذلك فهما لا يشقان بأفراح حاشية السلطان ونظامه  
ولا تسجيلاً محموداً بشكرى .

سأستأنس بأن قطري باشا مدير الشرقية قد اعتقل ولكنتي كنت معه في الزقازيق  
في السادس من شهر مايو في الساعة الحادية عشرة صباحاً

الجمعة ١٩١٩

أفرج اليوم عن « على بك سمير » وبقية موظفي وزارة المعارف العمومية الذين  
سكنوا وقد اعتقلوا بإيعاز من المستر ( دنلوب ) وقد أمضوا في المعتقل ستة عشر يوماً .  
يقول « على بك عمر » إنه قبض عليه في الساعة الخامسة صباحاً إذ حصر إلى  
منزله - ضابط بريطاني وآخر مصري وبعض المشاكروا ودع تكلمت قصر النيل ، ونقل  
في اليوم الثاني إلى قليوب في عربة من عربات الصليب الأحمر الحكة الإقبال ،  
ومن قليوب نقل إلى المنظر من إلى اللسنة الشرقية للعتال . وأدخل بحجرة ضيقة في

سقفها فتحة ( زنزانة ) ثم أدخل في عربة المواشى ليذهب به ليلا إلى رفح . وكا  
البرد قارساً جداً . أما حين نقل من قليب إلى القنطرة فكان في عربة من عرباد  
السكة الحديدية المخصصة للدرجة الثانية وكان في حراسة عساكر هنود من «البوركا»  
الذين كانوا لا يفارقونه حتى إذا ذهب إلى دورة المياه فيدخلونها معه . أما في رفح فكان  
المسكر محاطاً بالأسلاك الشائكة . وكان المعتقلون في خيام يحرسها ضباط اسكتلنديون  
صدرت إليهم تعليمات بأنه إذا اقترب أحد المعتقلين على مسافة ياردة واحدة من  
الأسلاك الشائكة أو تحدث مع شخص في الخارج يرمى بالرصاص فوراً . وقال  
الضابط : إنني أرى أن عددكم ثمانية فقط وكنت أحطت علماً بأن أعد محالاً لواحد  
وستين شخصاً وقد أعددت فعلاً محالاً لواحد وسبعين شخصاً . وعامل الضابط  
المعتقلين بالحسنى ووضع تحت إمرة كل منهم أسيراً تركياً قائلاً ( لك أن تفعل فيه  
ما تشاء إلا أن تقتله ) . ولم يأخذ المعتقلون معهم ملابسهم حين غادروا القاهرة  
ولما أطلق سراحهم نقلوا من رفح إلى القنطرة في الدرجة الثالثة ومنها إلى القاهرة في  
الدرجة الأولى . ولم يستجوبهم أحد واستمروا لا يعلمون ما هي التهمة التي احتجزوا  
من أجلها ، ثم عادوا إلى عملهم في الوزارة .

نقل القس سرجيوس وعمدة من عمد الشرقية وآخرون إلى رفح وليس هناك  
من أخبار مؤكدة عن نجيب بك فهمى الذى لم يبرح محل اعتقاله بعد .

ابتداء من الحادى عشر من شهر مايو أصبح السفر بالسكك الحديدية مباحاً من  
غير تصريح إلى مناطق الوجه البحرى ما عدا منطقة القنال . ولكن لا تزال هناك  
عشر محطات مقفلة من بينها محطات هيا وقويسنا وأبو الشقوق وقها وقلوب إلى الخ  
ألصق إعلان في الأماكن البارزة بأنه إذا وقع اعتداء على نقطة ما من السكك  
الحديدية فإن جميع المحطات المجاورة لها ستقفل ويستأنف نظام التصاريح من جديد

— ٩١ —

هناك مظاهرات ليلية تقابل من الجنود البريطانيين بضرب المعصى . وقد صدر  
بلاغ جاء فيه انه قتل واحد من المتظاهرين وجرح كثيرون .

١٠ مايو ١٩١٩

سافر النبي إلى فلسطين وحلب ، والحالة هادئة .  
الطلبة متابعون توزيع المنشورات المملوءة بالطن في مديري مديريتي النيسا  
والقايونية وفي مستشارى محكمة الاستئناف الوطنية الخ وتوزع تلك المنشورات عند  
جرونى ونحن ننشر هنا بعض فقرات من المنشور رقم ٢٤ الذى عنوانه ( المستشارون  
المصريون ) ضمن ما كان يوزع من منشورات لندلل بهذه المقطعات على الروح  
الحماسية الثائرة التى كانت تشتعل فى نفوس المصريين آنئذ :  
( الأمة المصرية الأسيفة نائمة تبكى انشقاق الكبار من أولادها . الكبار  
الذين رأوا منها ومن خيرها ما لم يره الصغار . أولئك الكبار الذين لم ينصروها ويثبتوا  
أقدام الوطنيين من أهلها حتى لا يكون «للجنرال النبي» ولا للإنجليز حجة من أن  
الكبار من المصريين لم يضربوا ، وأنهم وفوا أجورهم ومهاياهم عن أيام الإضراب  
وأنهم على الوطن خارجون ، فليقل لنا المستشارون هل قبلوا الماهية كاملة صرغين أو  
قبلوا ذلك مختارين ؟ وهل لم يتبين لهم صدق قولنا من أن الإنجليز يريدون أن يتذرعوا  
بكشوف المايا «للجنة التحقيق مثلا» من أن أكبر الرؤوس فى هذا البلد لم تضرب ) .  
المدارس ما زالت مغلقة لأن النبي كان قد أعلن أنه إذا لم يستأنف التلاميذ  
دراساتهم فى السابع من مايو فستبقى المدارس مغلقة إلى العام الدراسى المقبل .

١١ مايو ١٩١٩

فى الساعة السابعة مساء قام الضباط البريطانيون بتفتيش جميع الموجودين فى

—٩٢—

محل جروبي وقد هم بالانصراف المسيو (ليديه) قنصل فرنسا بالقاهرة بعد أن أوضح للضابط شخصيته ومع ذلك أمره بالآي يرح محله . فلما عصى الأمر شهر أحد الضباط عليه مسدسه وعلى مسافة عشرة سنتيمتر من وجهه . غير أن أحد رجال البوليس السرى المصرى قد عرف ذلك القنصل فسهل له سبيل الخروج من غير تفتيش .  
وقد أرسل القنصل احتجاجا صارخا إلى قائد القوات البريطانية فى القطر المصرى . والقنصل هو الذى قص على هذا الحادث وكاد ينفجر من الغيظ .  
أما فى محل جروبي فقد سارع الخدم النوبيون بإخفاء جميع المنشورات التى كان الطلبة يوزعوها فلم يجد الضباط الانجليز لها أثرا ما .

١٢ مايو ١٩١٩

أذاع الجنرال (وطنى) أمراً بأنه إذا اجتمع أكثر من خمسة أشخاص فى مقهى أو مسرح أو محل عام آخر وتكلموا فى السياسة فيجب إلقاء القبض عليهم . وأمر الجنرال (وطنى) بإقفال المحال جميعها عند حلول الساعة السادسة بعد الظهر وقد أمر بإقفالها مرتين فى اليوم

١٥ مايو ١٩١٩

أفرج عن نجيب بك فهمى .  
تمرد العساكر الانجليز فى ثكنة قصر النيل وأضرب عن العمل سائقو السيارات واللوريات البريطانية . والحالة فى العاصمة والبلاد هادئة .  
زرت عدلى باشا فى منزله وهو يرى أن يعود الوفد لتوحيد القوى والعزائم وأن تشكل وزارة يرى أنها من ألزم الضرورات فى الوقت الحاضر .

قلت له ( إنك متمتع بثقة الموظفين وثقة البلد أيضا ) فأجاب بأنه على استعداد لتشكيل وزارة إذا طلب إليه ذلك . وهو لا يرى من المستحسن أن يبقى الموظفون مضربين بعد الأيام الثلاثة الأولى ويخشى من أن لجنة التحقيق إذا ما وصلت إلى هنا فأنها لا تجد من تتكلم معه ، فتقدم تقريرها على أساس من أقوال المناصرين لهم ثم تحمل برلمان بريطانيا على إقراره . قلت له ( يزعمون أن رشدى باشا صرح بأنه على استعداد للعودة إلى تشكيل الوزارة إذا ما أصبحت الحماية على البلاد نهائية ) فأسف عدلى لهذا الكلام الذى يستحيل أن يكون رشدى قد فاه به ، وهو لا يشك فى أن رشدى رجل شريف ، ومن المستحيل أيضا أن يكون قد قبض خمسة وعشرين ألفا من الجنيهات كما يذاع عنه . وهذه رهات حقيرة جدبة بالازدراء . وأقول — أنا الذى عرفت رشدى معرفة تامة قاضيا وسياسيا — إنه أشرف وأزهر من عرفت من رجالنا الرسميين .

وأن عدلى ليستبعد أن عظمة السلطان يستطيع فى الظروف الحالية أن يقترح وزارة على الانجليز . أما هو أى عدلى فإن علاقته باللورد اللبى ليست سيئة بل هى طيبة وأنه لم يخاطب اللورد اللبى بشدة إلا حين أراد اللورد أن يتخذ إجراءات ضد الموظفين حين كان عدلى عضوا فى الوزارة الأخيرة ، وأفهمه أن مثل هذا التصرف يسلب الوزراء المصريين كل كرامة فأقره اللورد على رأيه . وحينما استعصى على الوزارة إقناع الموظفين بالعودة إلى عملهم استقال عدلى وحينئذ فقط أصدر اللورد اللبى أمره العسكري المعروف . واختتم عدلى كلامه معى بأن البريطانيين يضايقهم جداً أن يضبط الأشخاص الذين قتلوا الضباط الانجليز لأنهم إذا عرفوا وقبض عليهم فإن البريطانيين يدمون بذلك كل حجة يتعللون بها فى استعمال القمع والشدة مع المصريين ( وإلى هنا انتهت هذه اليوميات إذ أننى بعد هذا برحت القطار إلى باريس لألحق الوفد هناك . ولقد اثبتتها هنا كما دونتها فى حينها من غير أن أدخل عليها أى تعديل ) .



## الباب الرابع

تَصَرُّفَاتُ حُكُومِيَّةٍ





## بعض الشواهد

ليس حادث إقصائي عن المجلس الاقتصادي الذي سبق ذكره في الباب الثاني فريداً في بابه بل له نظائر عدة ذلك لأن رجال الحكومة يعتقدون أن تعيين أهل الذكر من أفراد الشعب في مختلف لجانهما — وما أكثر عددها وأقل إنتاجها — هو تشريف لا تكليف . يؤكد ذلك عندهم ما يبذل من وساطات والتماسات للدخول فيها . فترى بعض المجالس الاستشارية تتألف من خمسين لا بل ستين عضواً ، ومن فضل الله أن معظم من يفوزون بالتعيين بعد أن تحق أقدامهم يتخلفون عن حضور الجلسات ولولا ذلك لكان من المستحيل أن يناقش أى موضوع مناقشة مشورة .

ينجم عن هذه العقلية الغريبة أن بعض الوزراء يفتنمون فرصة تجديد المجالس واللجان الاستشارية لإبعاد من لا يحبون أن يبقى في عضويتها لاعتبارات شخصية أو حزبية وهم كذلك قد يفعلون دعوتها للانمقاد بدافع من أهوائهم لا لعدم وجود عمل لها :

أما المعاملة التي يعامل بها الأعضاء فتتأثر طبقاً لتلك العقلية فينالهم أحياناً ما لا ينال الموظف من الامتثال والهوان ، ويطول في الشرح لو أردت إبراد أمثلة على ماتقدم بيد أننى أذكر بعضها وهي خاصة بي على سبيل التذكير .

ألغى دولة اسماعيل صدقي باشا الدستور فأحتجت جميع الهيئات على هذا الاجراء ولم يسع « النقابة الزراعية المصرية العامة » التي أناسكرتيرها العام إلا أن تحذو حذو الهيئات الأخرى ، فغضب دولته وأمر بقطع الاعانة السنوية التي كانت الحكومة تدفعها للنقابة وقدرها ألف جنيه .. ولم يكفه ذلك بل أراد إخراجي من اللجان التي أعمل فيها ممثلاً للنقابة فسارع وزير الزراعة ( وكان وقتئذ حافظ حسن باشا ) إلى إبعادى من المجلس الاستشارى للزراعة الذى لبثت أعمل فيه منذ نشأته وعنى بأن يعطى لهذا الابعاد شكلاً بارزاً فشر فى الجرائد أن المجلس الاستشارى الزراعي تمهد

— ٩٨ —

بكمال أعضائه ماعدا يوسف نحاس بك ، ثم طالب معاليه من سكرتير لجنة القطن الدولية التي عينت فيها أيضا منذ تأسيسها بصفة مستديمة الملف الخاص بهذه اللجنة ليرى كيف يستطيع إخراجها منها وكنا على أهبة السفر إلى الخارج لحضور أحد اجتماعات لجنة القطن الدولية في مدينة وندرمير بالانجلترا . تنبه السكرتير إلى غرض الوزير من طلب الملف وفاتح في الأمر أحمد عبد الوهاب باشا وكيل وزارة المالية في ذلك الحين ورئيس لجنة القطن الدولية فاتصل بحافظ باشا وقال له إنه وباقي الأعضاء لا يستطيعون العمل إذا حدث أى تعديل في تشكيل هذه اللجنة ، فامتنع الوزير عن التعديل ولم يخبرنى المرحوم أحمد عبد الوهاب بكل ذلك إلا حين كنا في أوروبا وقد ضحكنا كثيرا من هذه الصيانيات !

رضى عى صدقى باشا بعد ذلك فعدت بقدرة قادر أوبسحر ساحر الرجل الذى يؤدى لبلاده خدمات نافعة ونفخى دولته بالكتاب التالى :

حضرة صاحب العزة يوسف نحاس بك  
بمناسبة إصدار لائحة بورصة ميناء البصل أتشرف بأن أقدم لعزتك خالص  
الشكر على المعونة الصادقة التى قدمتموها أثناء اشتراككم فى أعمال اللجنة التى وكل  
إليها تعديل نظام هذه البورصة .

ونفضلوا عزتكم بقبول فائق الاحترام

وزير المالية

فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣١

الإمضاء

إسماعيل صدق

ثم أعادونى إلى المجلس الاستشارى الزراعى وما زلت أعمل فيه ما يقدرنى الله  
على عمله إلى أن مرضت عام ١٩٤٩ مرضاً اضطرنى إلى اعتزال كل الأعمال الحكومية  
التي كنت مضطراً بها قرابة نصف قرن .

قبل ذلك وفى مارس سنة ١٩٢٥ كنت قد استقلت من المجلس الاستشارى

—٩٩—

الزراعى لسبب متعلق بالسكرامة أيضا ولكن وزير الزراعة أبى قبول الاستقالة بكتابه الذى أورد نصه هنا إشادة بكرم أخلاقه .

حضرة صاحب العزة يوسف نحاس بك

تشرفت بكتاب عزتكم المؤرخ فى مارس سنة ١٩٢٥ الخاص بطلب استقالتكم من عضوية المجلس الاستشارى للزراعة على أن الوزارة ترى أن خبرتكم ودرائتكم بمهام المشروعات الزراعية لمن أدعى الأسباب التى تدعو للتمسك ببقائكم فى هذه الخدمة العامة التى تتطلبها مصلحة الوطن الذى يحتاج فى هذه الظروف إلى خدمة أبنائه العاملين ومع وثوقى بتقديركم لهذه العناية الشريفة أتعشم ألا تضنوا بخدمتكم الجليلة النافعة للبلاد فى أمورها الزراعية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

وزير الزراعة

الإمضاء

فى ٥ أبريل سنة ١٩٢٥

كذلك أبعدت من لجنة السودان الحكومية ثم أعدت إليها فى سنة ١٩٤٤ . وللجنة السودان حكاية خليقة بأن أسجلها هنا لغرابتها ومجاوزتها حدود اللياقة . كان المغفور له الأمير عمر طوسون يعنى عناية خاصة بكل ما يتعلق بالسودان ويتم بتوثيق علاقته بمصر فأوعز بتشكيل لجنة أهلية قوامها ممثلو الغرفتين التجاريتين بالقاهرة والإسكندرية وعدد من أعضاء الجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية المصرية العامة وجمعية خريجي مدارس الزراعة وكبار التجار والزراع والأعيان أطلق عليها اسم ( اللجنة المستديمة للسودان ) .

جذت هذه اللجنة فيما أخذت نفسها به . ومنذ عام ١٩٣٥ سافرت ثلاث مرات للسودان فكان من عملها الجليل ما حمل الحكومة على الاعتراف بها كهيئة حكومية ، بقرار من مجلس الوزراء صدر فى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٨ وضعت بموجبه تحت إشراف وزارة التجارة والصناعة وفتح لها اعتماد قدره مبلغ ألفى جنيه سنويا . رأت هذه

اللجنة الحكومية أن تتأثر خطوات لجنة السودان المستديمة الأهلية فقررت السفر إلى السودان في الأسبوع الأول من فبراير سنة ١٩٣٩ بموافقة وزارة التجارة والصناعة .  
 إلا أنها بعد أن أعدت عدتها للسفر وحجزت الأمكنة في الباخرة والسكة الحديدية وأخبرت حكومة السودان رسمياً بموعد زيارتها ووضع البرنامج للمدة التي ستقضيها في ربوع السودان ، وكل ذلك في حدود اختصاصها ، فوجئت قبيل الرحيل بأيام قلائل بقرار من وزارة المالية يتعارض وما اعتزمته هذه اللجنة ، من غير أن يعرف له سبب معقول يبرره فذهل الأعضاء وقدموا في السابع من فبراير ، سنة ١٩٣٩ استقالة مسببة لوزارة التجارة والصناعة ذيلت بالتوقيعات الآتية :

فؤاد أبانظه . عبد الحميد فتحى ، القونس جريس ، يوسف نحاس ، مصطفى نصرت ، عبد الحميد أبانظه ، عبد الحميد الرمالى ، محمود الجبال ، إبراهيم عاصر ، على يحيى ، على شكرى خيس ، عطا عفيفى . وامتنع الأعضاء الموظفون عن التوقيع طبعاً .  
 بذلت مساع متواصلة لجلنا على العدول عن الاستقالة وقدمت لنا معاذير ما أنزل الله بها من سلطان إلا أننا قبلناها . وأما السبب الحقيقى فلا يمت بصلة للمصلحة العامة وإنى لأخجل من ذكره .

في جميع هذه التصرفات ما يشعر القارىء بأن الحكومة لا ترى أى غضاضة عليها فى أن تقصى عن لجائها ثم تعيد إليها غير عابثة بكرامة الذين تدعوم لمعاونتها في شئون جسام تجدد من المصلحة أن تستعين برجال العلم والعمل لتمحيص رأى فيها .  
 أما عدم تقدير ما يؤديه أعضاء اللجان أو بالأحرى عدم إبداء ما يفهم منه أن لعملم تقديرأ عند أولياء الأمر فأبرز ما يدل عليه أنه إذا ما انتهت اللجنة من إتمام ما عهد إليها به فلا يتلقى أعضاؤها في أغلب الأحيان مكافأة أو رتبة أو وساما أو ما إلى ذلك حتى ولا كلمة شكر .

سافرت البعثة الاقتصادية إلى إنجلترا عام ١٩٣٥ برئاسة الدكتور حافظ عفيفى باشا وعضوية طلعت حرب باشا ، صادق حنين باشا ، محمد فرغلى بك ، وأنا . ومعنا

نخبة من الإخصائين والسكرتاريين أذكر منهم حضرات حسين بك فهمى ويوسف بك ميلاد والمرحوم احمد بك سليم وعلى محمد على علوبة وأدت مهمتها بما أشادت به الصحف البريطانية إشادة بالغة في التقدير حتى إنها وصفت تقرير البعثة بأن اللجان التي يدعوها في إنجلترا Select Commission سيكت كوميسن ( اللجان المختارة الممتازة ) لا تقدر على الإتيان بأحسن منه . ( يمد القارئ هذا التقرير منشوراً في المجلد الذى طبع عن جهود النقابة الزراعية المصرية العامة في ثلاثين عاما ) .

عدنا إلى مصر وقدمنا ذلك التقرير إلى الحكومة وانتظرنا أسابيع فلم يرد منها حتى ما يشعر بتسلعه . تضايقنا من هذا الاستخفاف وذهبت إلى المغفور له توفيق نسيم باشا رئيس مجلس الوزراء ، وكانت الكلفة مرفوعة بيننا ، فسألته عما إذا كان تقريرنا قد وصل فقال : إنه تقرير عظيم حقا وإنى آسف كل الأسف لأن رئيس مكتبى لم يلفتنى إلى كتابة الشكر الواجب لكم فأرجو يا يوسف بك أن تتصل به وتضما معا كتاب الشكر وقد كان .. وكتبت مع مدير المكتب شكرى وشكر زملائى ثم تسلمته بتوقيع الرئيس بعد مضى أيام ، فتأمل .

للمره أن يتساءل عن علة المعاملة التي يعامل بها رجال الحكومة المحكومين عندنا حتى النخبة المختارة منهم ولا أظنها مألوفة عند غيرنا . العلة في رأيى هي أن الموظفين ، وهم فئة متملة في أمة جل أفرادها أميون ، يعدون أنفسهم أرفع منهم قدرا فلا غرو أن يصطنعوا معهم الغطسة والشموخ وقد ورثوها من الانكليز وقبلهم من الأتراك أيام كانوا يحكمون البلاد . ولا علاج لهذا العيب إلا أن يفتشر نور العلم في طبقات الشعب فيرافقه طبعا الشعور بالمرزة والاعتداد بالكرامة .

\* \* \*

ولما كان الشئ بالشئ يذكر فإني شهدت في السودان عكس ما نجاه في مصر . فالوخلقون هناك جد حريصين على كرامة الجمهور واحترامه بقدر ما هم محافظون على كرامتهم هم أنفسهم فلا يسمحون لرئيس مهما علا أن يمتنهم .

أبدت إعجابي من هذه الظاهرة إلى حضرة مدير مصلحة البريد بالخرطوم في أول رحلة للبعثة عام ١٩٣٥ لما تأثرت به من الأدب الرائع الذي يتحلى به موظفو البريد هناك في معاملة كل فرد من الأفراد كبيراً كان أو صغيراً فأجانبى إننا نتشدد في ذلك كل التشدد وقد حوكم أمس أحد موظفينا أمام مجلس التأديب بتهمة أنه كان أمامه أناس كثيرون يقوم بخدومتهم فخاطبه خادم واقف في آخر الصف محتجاً على طول انتظاره فرد عليه الموظف ( ألم ترأى أعمل بلا توقف . انتظر دورك ) وقد حكم عليه باستقطاع أيام من راتبه . قلت : وهل في جوابه ما يستوجب هذا العقاب ؟ قال : نعم . لأنه كان يجب عليه أن يكون أكثر تأدباً في الرد .

وأما عن اعتداد الموظفين السودانيين بكرامتهم فقد علمنا ونحن في السودان سنة ١٩٣٥ أنه وقع اعتداء على أحد الضباط السودانيين من رئيسه البريطاني وكان ملكياً فقابلته الضابط بضرب مبرح بالكر باج وما زال به حتى اختبأ في مكتبه ، ولما أخيل الضابط إلى المحاكمة برأته المحكمة العسكرية لأنه ، وهو يلبس الكسوة العسكرية ، لا يجوز له أن يصبر على إهانة علنية فلا يدفع عن نفسه .

\* \* \*

السوداني من جميع الطبقات يزود عن كرامته ويأبى الإهانة وقامت لدى على ذلك براهين عدة أذكر منها أنه لما همت البعثة الأولى للسودان عام ١٩٣٥ بمبارحة فندق ( جراند أوتيل ) عائدة إلى مصر أخذ فراشو الفندق في حمل أمتعتنا للعربات المدة لنقلها إلى محطة السكة الحديدية . فلاحظ أحدنا أن أولئك الفراشين يتباطئون بعض الشيء في عملهم وطلب إلى مدير الفندق أن ينتهرهم فأجابهم : لو فعلت لتركوا الأمتعة في محلها وانصرفوا . ثم خاطبهم بالحسنى فأنجزوا عملهم بسرعة مضاعفة .

وفي آخر مرة زرت فيها السودان روى لي صديق مقيم في الخرطوم الحادث المروع التالي .. كان يجاور منزله صيدلى سورى شاب قوى البنية حاد الطبع وكثيراً ما حذره من عواقب شرسته التي لا يطيق السودانيون عليها صبراً وكان آخر تحذير

في صبيحة اليوم الذي وقع فيه الحادث . فقد أراد أحدهم شراء عقار من العقاقير ولكنه رفض الشراء بالثمن الذي طلبه الصيدلى منه . فنفوه بكلمات بذيئة ضد السودانين سمعها شيخ جاوز الستين فقال للصيدلى : اشم عميلك كما تشاء ، ولكن مالك وللسودانيين ؟ فرد عليه متهوراً : أنتم جميعاً نساء وجبناء . فما إن قال ذلك حتى بادره الشيخ بطعنة مدية أردته قتيلاً وحكم على القاتل بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات .

وفي الحرب الأخيرة ألزم العسكريون البريطانيون في السودان حسن السيرة على عكس سلوكهم في مصر ونذر أن يعتدوا على الأهليين فان فعل أحدهم لقي الجزاء الحق .

مر في إحدى القرى ثلاثة جنود بريطانيين أمام حفلة عرس مقامة في أم درمان فأرادوا أن يدخلوا الدار ليشهدوها فمنعهم صاحبها لأن التقاليد لا تسمح بأن يندس الغرباء في هذه الحفلات المرححة التي يختلط فيها الجنسان من أهل العروسين ، ووعدهم بأن يقيم لهم في الليلة التالية حفلة بهيجة يحضرونها إذا شاءوا . فأبوا وأصروا على اقتحام الدار فقاومهم من فيها وقتلهم . ثم ذهب رب البيت إلى المدير ليخبره بما كان فتسلت الحكومة الجثث ولم تجر تحقيقاً في الحادث ولا محاكمة .

كذلك دخل ليلاً جندي ثمل أحد المنازل كان يعرف فيه سيدة ظن أنها تقطنه وحدها فلما أراد أن يعتدى على عفافها استصرخت أخاها وكان نائماً في غرفة مجاورة فأنهال على رأس الجندي بهراوته فأرداه قتيلاً . ( وكنت الحكومة أيضاً على هذا الحادث ماجور )

فأكرام الضيف والاعتداد بالكرامة صفتان يمتاز بهما بنوع خاص إخواننا السودانيون . حياهم الله وبياهم !







٢٠ — متابعة السعى لإزالة الخلاف ... .. ٥١

## ٥٣ الباب الثانى

### عبد العزيز فهمى

١ — عبد العزيز والسلطان حسين .. ... ٥٥  
٢ — علاقته بالسلطان حسين ... ... ٥٨  
٣ — عبد العزيز والملك فؤاد... ... ٥٨  
٤ — الملك فؤاد يحصى مرافق الفلاح ... ... ٦٣

## ٦٥ الباب الثالث

### ماهر ورفاقه فى ثورة ١٩١٩

يوم ١١ لبريل ( ١٩١٩ ) ... .. ٦٩  
تابع ١١ د د ... .. ٦٩  
يوم ١٢ د د ... .. ٧١  
د ١٥ د د ... .. ٧٢  
د ١٦ د د ... .. ٧٤  
د ١٧ د د ... .. ٧٥  
د ١٨ د د ... .. ٧٦  
د ١٩ د د ... .. ٧٦  
د ٢٠ د د ... .. ٧٧  
د ٢١ د د ... .. ٧٧  
د ٢٢ د د ... .. ٨١  
د ٢٣ د د ... .. ٨٢  
د ٢٤ د د ... .. ٨٢

منحة									
٨٣	...	...	...	...	...	...	...	...	يوما ٢٦ و ٢٥ أبريل ( ١٩١٩ )
٨٤	...	...	...	...	...	...	...	...	د ٢٨ و ٢٧ د
٨٥	...	...	...	...	...	...	...	...	د ٣٠ و ٢٩ د
٨٦	...	...	...	...	...	...	...	...	أيام ٣ و ٢ و ١ مايو
٨٧	...	...	...	...	...	...	...	...	يوم ٤ د
٨٨	...	...	...	...	...	...	...	...	يوما ٦ و ٥ د
٨٩	...	...	...	...	...	...	...	...	يوم ٨ د
٩١	...	...	...	...	...	...	...	...	د ١٠ د
٩١	...	...	...	...	...	...	...	...	د ١١ د
٩٢	...	...	...	...	...	...	...	...	د ١٢ د
٩٢	...	...	...	...	...	...	...	...	د ١٥ د

## ٩٥ الباب الرابع تصرفات حكومية

٩٧ بعض الشواهد . ... ..



## مؤلفات الدكتور يوسف نحاس

Library of the Alexandria Library

١ — الملاح ( حالته الاقتصادية والاجتماعية )

٢ — مصر وزراعة الدخان

٣ — للذكري ( حالتنا المالية والاقتصادية عام ١٩١١ — ١٩٤٣ )

٤ — القطن المصرى ( برنامج سديد لاستغلال الأرض الزراعية ) تأليف،

المسيو ص . أفيك دور وترجمة الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٣٣

٥ — العيد المحسنى للمحاكم الأهلية ( ترجمة خطبى المغفور له عبد العزيز

فهمى باشا والمغفور له محمد ايوب عطية باشا إلى اللغة الفرنسية بقلم الدكتور

يوسف نحاس سنة ١٩٣٣ )

٦ — كتاب « الأحوال الزراعية في القطر المصرى أثناء حملة نابليون بونابرت »

بقلم السيوب . س . جبرار وترجمة الدكتور يوسف نحاس و خليل

مطران سنة ١٩٤٢ .

٧ — تقرير عن حالة السودان الاقتصادية والاجتماعية مارس سنة ١٩٤٥ .

٨ — صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث ( مفاوضات « عدلى —

كرزى » بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥١ ) .

٩ — مجلة الرابطة الفرنسية . كلمة الدكتور يوسف نحاس في تأييد المغفور له

الكومندور الياس توتونجى ١٨٩٠ — ١٩٤٧ .

١٠ — جهود النقابة الزراعية المصرية العامة في ثلاثين عاما يقدمها الدكتور

يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .

١١ — ذكريات ( سعد . عبد العزيز . ماهر ورفاقه في ثورة سنة ١٩١٩ .

تصرفات حكومية ) بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .





